صائد الحكايات

وقصص أخرى

تأليف

فريد محمد معوض

الحائز على جائزة الدولة التشجيعية

في أدب الأطفال 2010 م

رسوم

أحمد عبد النعيم

الدار النموذجية للطباعة والنشر

صيدا - بيروت

شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: 11/8355
تلفاكس: 655015 - 632673 - 00961 1 659875
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
بوليفار د. نزيه البزري - ص.ب: 221
تلفاكس: 720624 - 729259 - 00961 7 729261
صيدا - لبنان

• المطبعة العصرية
كفر جرة - طريق عام صيدا - جزين
07 230195 - 00961 7 230841
تلفاكس: 655015 - 632673 - 00961 1 659875
صيدا - لبنان

الطبعة الأولى
2016 م - 1437 هـ

Copyright© all rights reserved
جميع الحقوق محفوظة للناشر
لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو، أو بأي طريقة، سواء كانت الكترونية، أو بالتصوير، أو التسجيل، أو خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من الناشر مقدماً.

alassrya@terra.net.lb
E. Mail: alassrya@cyberia.net.lb
info@alassrya.com

موقعنا على الإنترنت
www.alassrya.com

المحتويات

صَائِدُ الْحِكَايَاتِ 4
ابْتِسَامَةُ شَيْخٍ 6
أَبْنَاءُ الشَّجَرَةِ 10
احْذَرْ... هُنَاكَ خَطَرٌ 14
أُسْطُورَةُ «عَزْمِي» 16
اسْمُ أُمِّي 20
الِابْنُ الْغَائِبُ 24
الْإِشَارَةُ الْحَمْرَاءُ 28
الْأَقْصَى وَالْأَلْوَانُ 32
الْبَحْثُ عَنْ حِكْمَةٍ 36
الثَّعْلَبُ يَشْرَحُ عَلَى الطَّبِيعَةِ 40
الْحُلْمُ الَّذِي صَارَ 44
الْخَبَرُ السَّعِيدُ 48
الدُّكْتُورُ «حُسَامٌ» وَالْفِكْرَةُ التَّمَامُ 52
الشَّجَرَةُ وَقِطْعَةُ الثَّلْجِ 56
الْعَمُّ «إِسْمَاعِيلُ» 60
اللَّافِتَةُ الْعَجِيبَةُ 62
الْهَدَفُ الْبَاطِلُ 66
الْوَفَاءُ الْعَظِيمُ 70
بَائِعُ الْكُتُبِ 73
أَنَا وَأَبِي وَالْأَرْضُ 76
بَقِيَّةُ الْحِكَايَةِ 80
بِكِتَابٍ وَاحِدٍ 84
بَيْتُ النَّخْلَةِ 88
سِرُّ فَرْحَةِ «مُصْطَفَى» 92
«أَحْمَدُ» وَالصُّنْدُوقُ 96
«إِيْمَانُ» وَالْإِجَازَةُ 100
صَفَّارَةُ الْعَمِّ «مُسْعَدٍ» 104
ضَرْبَةٌ قَوِيَّةٌ 108
مُسَابَقَةٌ خَاصَّةٌ 112
أَسْئِلَةٌ عَامَّةٌ عَلَى الْكِتَابِ 116

صَائِدُ الْحِكَايَاتِ

هَـلْ سَـمِعْتُمْ عَنْ صَائِـدِ الْحِكَايَـاتِ؟ الْحِكَايَةُ الْوَحِيـدَةُ الَّتِي لَـمْ يَحْكِهَا هِيَ حِكَايَتُهُ، وَحِكَايَتُهُ حَكَاهَا النَّاسُ.

كَانَ يَخْرُجُ كُلَّ يَوْمٍ لِصَيْدِ السَّـمَكِ، مَعَهُ الْكِيسُ.. قَدْ يَكُونُ الْكِيسُ لِلسَّـمَكِ، وَقَدْ يَكُونُ لِلْحِكَايَاتِ!

حِيـنَ يَبْخَلُ عَلَيْـهِ الْبَحْرُ بِسَـمَكَةٍ، فَإِنَّ لِذَلِـكَ حِكَايَةً.. يُمْسِـكُ بِالْحِكَايَـةَ جَيِّـدًا.. يَقْبِـضُ عَلَيْهَـا وَيَضَعُهَـا فِي الْكِيـسِ.. قَـدْ تَكُـونُ الْحِكَايَةُ عَـنِ الْبَحْـرِ الْغَاضِبِ أَوِ الشَّاطِئِ الْبَعِيدِ.. أَوِ النَّاسِ عَلَى الشَّاطِئِ الْآخَرِ، وَالسَّفِينَةِ الَّتِي اقْتَرَبَتْ ثُمَّ ابْتَعَدَتْ فَصَارَتْ شَيْئًا صَغِيرًا جِدًّا..

يَرْبِطُ الْكِيسَ جَيِّدًا؛ حَتَّى لَا تُفْلِتَ مِنْهُ الْحِكَايَةُ.. يَحْمِلُهَا عَلَى ظَهْرِهِ وَيَمْضِي.

أَحْيَانًا تَكُونُ ثَقِيلَةً، وَعِنْدَمَا تَكُونُ شُـخُوصُ الْحِكَايَةِ كَثِيرَةً، يُصْبِحُ الْكِيسُ ثَقِيلًا جِدًّا..

يَفْتَـحُ الْكِيسَ أَمَـامَ زَوْجَتِـهِ، تَنْظُـرُ إِلَيْهِ وَلَا تَنْظُرُ لِلْكِيسِ.. تَسْأَلُهُ:

ـ سَمَكٌ أَمْ حِكَايَةٌ؟

يَقُولُ الزَّوْجُ:

- أَيَّ شَيْءٍ تَرْغَبِينَ؟

تَقُولُ لَهُ:

- كُلُّ الَّذِي يُعْطِيهِ رَبُّنَا خَيْرٌ وَبَرَكَةٌ.

يَمُدُّ يَدَهُ فِي الْكِيسِ، يَبْدَأُ بِاسْمِ اللهِ ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى رَسُولِ اللهِ، وَيَقُولُ:

- الْحِكَايَةُ يَا زَوْجَتِي تَبْدَأُ مُنْذُ الصَّبَاحِ...

وَتَسْمَعُ الزَّوْجَةُ بِاهْتِمَامٍ حَتَّى يَفْرُغَ مِنَ الْحِكَايَةِ، ثُمَّ تَقُولُ لَهُ:

- يَا لَهَا مِنْ حِكَايَةٍ.. جَمِيلَةٍ مِنَ الْبِدَايَةِ لِلنِّهَايَةِ.

وَعِنْدَمَا تُشْرِقُ شَمْسُ الصَّبَاحِ يَتَّجِهُ صَائِدُ الْحِكَايَاتِ إِلَى الْبَحْرِ، وَتَكُونُ حِكَايَةُ الْأَمْسِ قَدْ صَارَتْ عَلَى كُلِّ لِسَانٍ؛ فَالنَّاسُ يَسْأَلُونَ الصَّيَّادَ كُلَّ يَوْمٍ:

- سَمَكٌ أَمْ حِكَايَةٌ؟!

وَيَبْتَهِجُونَ حِينَ يَعْرِفُونَ أَنَّ فِي الْكِيسِ حِكَايَةً؛ فَالْحِكَايَةُ أَطْوَلُ عُمْرًا مِنَ السَّمَكِ.

ابْتِسَامَةُ شَيْخٍ

أَوْلَادُ شَارِعِنَا أَنْهَوْا عَامَهُمُ الدِّرَاسِيَّ عَلَى خَيْرٍ، نَجَحُوا جَمِيعُهُمْ وَتَفَوَّقَ مُعْظَمُهُمْ مِثْلَ كُلِّ عَامٍ.. وَقَرَّرُوا أَنْ يَجْتَهِدُوا فِي حِفْظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. أَوْلَادُ شَارِعِنَا اخْتَارُوا الشَّيْخَ «بَاسِمًا» بِعَيْنِهِ، وَالَّذِي يُعَلِّمُ الْأَوْلَادَ فِي جَامِعِ «الْهُدَى وَالنُّورِ»؛ فَهُوَ لَا يُمْسِكُ فِي يَدِهِ عَصًا كَبِيرَةً وَلَا يَصِيحُ عَالِيًا مِثْلَ الشَّيْخِ «عَبْدِالْجَلِيلِ»، وَلَكِنَّهُ يَبْتَسِمُ دَوْمًا.

وَهَذَا مَا شَجَّعَ «أَحْمَدَ» عَلَى الذَّهَابِ إِلَى «الْهُدَى وَالنُّورِ». «أَحْمَدُ» يَذْهَبُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ إِلَى هُنَاكَ، فَلَمْ يَذْهَبْ مِنْ قَبْلُ لِلشَّيْخِ «بَاسِمٍ» وَلَا لِلشَّيْخِ «عَبْدِ الْجَلِيلِ».

سَمِعَ عَنِ الشَّيْخِ «عَبْدِ الْجَلِيلِ» أَنَّهُ رَجُلٌ صَالِحٌ وَيُحَفِّظُ الْقُرْآنَ بِإِخْلَاصٍ، لَكِنَّ عَصَاهُ هِيَ الْأُخْرَى تَضْرِبُ بِإِخْلَاصٍ.. لِذَا فَقَدِ اخْتَارَ «أَحْمَدُ» الشَّيْخَ «بَاسِمًا»..

فَرَغَ الْمُصَلُّونَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ، وَتَحَلَّقَ الْأَوْلَادُ فِي دَائِرَةٍ جَمِيلَةٍ، وَفَتَحَ الْجَمِيعُ مَصَاحِفَهُمْ، وَبَدَأَتْ أَصْوَاتُ التَّرْدِيدِ.. اخْتَلَفَتِ الْأَصْوَاتُ الصَّادِرَةُ مِثْلَ دَوِيِّ النَّحْلِ، وَاخْتَلَفَتِ السُّوَرُ عَلَى أَلْسِنَةِ الْمُرَدِّدِينَ.

وَجَاءَ الشَّيْخُ «بَاسِمٌ» وَقَرَأَ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ بَسَطَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِسَاحَةً، وَأَعْطَى لِكُلٍّ قِسْطًا يَحْفَظُهُ، وَقَالَ:

- لَنْ يَخْرُجَ أَحَدٌ حَتَّى يُسْمِعَنِي مَا حَفِظَ!

وَتَفَرَّقَ الْأَوْلَادُ فِي الْجَامِعِ، وَعَادَتْ أَصْوَاتُ التِّلَاوَةِ مِنْ جَدِيدٍ، كَانَ مِنْ نَصِيبِ «أَحْمَدَ» بَعْضٌ مِنْ قِصَارِ السُّوَرِ، فَرَاحَ يَحْفَظُ بِهِمَّةٍ وَنَشَاطٍ، وَكَانَ حَرِيصًا عَلَى أَنْ يَكُونَ أَوَّلَ الْخَارِجِينَ.

دَقَائِقُ وَيُهْرَعُ «أَحْمَدُ» إِلَى الشَّيْخِ «بَاسِمٍ» لِيُسْمِعَهُ، يَسْتَمِعُ الشَّيْخُ «بَاسِمٌ» وَهُوَ يَبْتَسِمُ، ثُمَّ يُعِيدُهُ مَرَّةً أُخْرَى؛ فَقَدْ نَسِيَ «أَحْمَدُ» آيَةً كَامِلَةً، يُسْرِعُ «أَحْمَدُ» إِلَى حَيْثُ كَانَ، يُجَاهِدُ أَنْ يُكَرِّرَ هَذِهِ الْآيَةَ بِضْعَ مَرَّاتٍ، وَيُهْرَعُ إِلَى الشَّيْخِ «بَاسِمٍ»، يَسْتَمِعُ الشَّيْخُ «بَاسِمٌ»، وَيَنْجَحُ «أَحْمَدُ» فِي أَلَّا يَنْسَى الْآيَةَ، لَكِنَّهُ يَنْسَى آيَةً أُخْرَى!

يَبْتَسِمُ الشَّيْخُ «بَاسِمٌ» قَائِلًا:

ـ عُدْ يَا «أَحْمَدُ» لِلْحِفْظِ.

وَمَا هِيَ إِلَّا دَقَائِقُ حَتَّى يُهْرَعَ «أَحْمَدُ» إِلَى الشَّيْخِ «بَاسِمٍ» لِيُسْمِعَهُ، وَبَعْدَهَا يَعُودُ إِلَى الْحِفْظِ مِنْ جَدِيدٍ، مَرَّةً بِسَبَبِ الْمَدِّ وَأُخْرَى بِسَبَبِ الْوَقْفِ أَوِ النُّطْقِ.

سَأَلَ «أَحْمَدُ» بِحُزْنٍ:

ـ مَاذَا أَفْعَلُ يَا شَيْخُ «بَاسِمٌ»؟

قَالَ الشَّيْخُ «بَاسِمٌ»، وَلَمْ يَتَخَلَّ عَنْ بَسْمَتِهِ:

ـ لَا تُفَكِّرْ فِي الْخُرُوجِ.. فَكِّرْ فِي الْآيَاتِ، وَاجْعَلْ نَفْسَكَ وَجَوَارِحَكَ لِلْقُرْآنِ، وَأَخْبِرْنِي بَعْدَ ذَلِكَ عَنِ النَّتِيجَةِ.

وَتَرَكَ «أَحْمَدُ» نَفْسَهُ لِلْقُرْآنِ.. يَقْرَأُ وَيُعِيدُ وَيُوَاصِلُ التَّرْدِيدَ، وَأَفَاقَ عَلَى صَوْتِ الشَّيْخِ «بَاسِمٍ»:

ـ مَاذَا عِنْدَكَ يَا «أَحْمَدُ».. هَلْ حَفِظْتَ؟

قَالَ «أَحْمَدُ»:

ـ إِنْ شَاءَ اللهُ.

وَرَاحَ يَقْرَأُ وَيَقْرَأُ، وَالشَّيْخُ يَسْمَعُ وَيَسْمَعُ. لَمْ يَنْسَ «أَحْمَدُ» شَيْئًا وَلَمْ يَفُتْهُ مَدٌّ وَلَا نُطْقٌ. رَبَّتَ الشَّيْخُ عَلَى كَتِفِهِ وَقَالَ:

ـ حَفِظَكَ اللهُ.. عُدْ إِلَى بَيْتِكَ.

مَضَى «أَحْمَدُ» فِي الشَّـارِعِ سَـعِيدًا؛ لَقَدْ عَرَفَ كَيْفَ يَتَعَامَلُ مَعَ الْقُرْآنِ، وَصَارَ يَحْفَظُ مِنْهُ شَيْئًا.

أَبْنَاءُ الشَّجَرَةِ

حَطَّتِ الْعُصْفُورَةُ فَوْقَ الشَّجَرَةِ الْكَبِيرَةِ، وَقَالَتْ:

ـ السَّلَامُ عَلَيْكِ يَا شَجَرَةُ.

رَدَّتْ بَعْضُ أَوْرَاقِ الشَّجَرَةِ عَلَى الْعُصْفُورَةِ وَقَالَتْ:

ـ وَعَلَيْكِ السَّلَامُ يَا عُصْفُورَةُ.

قَالَتِ الْعُصْفُورَةُ:

ـ وَلِمَاذَا لَمْ تَرُدَّ كُلُّ الْأَوْرَاقِ؟! وَلِمَاذَا لَمْ يَرُدَّ السَّاقُ.. وَالْجِذْرُ؟!

قَالَتْ وَرَقَةٌ كَبِيرَةٌ:

- مَا لَكِ أَنْتِ وَالشَّجَرَةِ؟! أَنْتِ عُصْفُورَةٌ وَنَحْنُ أَبْنَاءُ الشَّجَرَةِ.. الْأَوْرَاقُ وَالسَّاقُ وَالْجِذْرُ.

قَالَتِ الْعُصْفُورَةُ:

- لِأَنَّنِي أُحِبُّ الشَّجَرَةَ الْكَبِيرَةَ يَا وَرَقَتِي الْكَبِيرَةَ.

قَالَتِ الْوَرَقَةُ الْكَبِيرَةُ وَهِيَ تَعْتَذِرُ:

- أَنَا آسِفَةٌ يَا عُصْفُورَةُ.. الْحَقِيقَةُ يَا عُصْفُورَتِي الْجَمِيلَةَ أَنَّ أَوْرَاقًا كَثِيرَةً مِنَ الشَّجَرَةِ خَاصَمَتْ بَعْضَهَا!!

وَعِنْدَمَا حَدَثَ الْخِصَامُ انْكَمَشَ
الْـكُلُّ وَنَـامَ: الْأَوْرَاقُ.. وَالْجِذْرُ ..
وَالسَّاقُ.
سَأَلَتِ الْعُصْفُورَةُ وَهِيَ حَزِينَةٌ:
- وَلِمَاذَا تُخَاصِمُ الْأَوْرَاقُ بَعْضَهَا وَهِيَ مِنْ شَـجَرَةٍ
وَاحِدَةٍ.. تَحْمِلُهَا سَاقٌ وَاحِدَةٌ وَيُغَذِّيهَا جِذْرٌ
وَاحِـدٌ؟! لِمَـاذَا؟! لِمَاذَا يَـا وَرَقَتِي
الْكَبِيرَةَ؟!

سَـمِعَتِ الْأَوْرَاقُ كَلَامَ الْعُصْفُـورَةِ، فَاهْتَزَّتْ لِجَمَالِهِ، ثُـمَّ قَامَـتْ مِنْ نَوْمِهَـا وَاهْتَزَّتْ أَكْثَـرَ، وَجَاءَ الْهَـوَاءُ إِلَيْهَا فَتَصَافَحَتْ مَعَ بَعْضِهَا.

فَرِحَتِ السَّاقُ وَالْجِذْرُ.. وَالْعُصْفُورَةُ غَنَّتْ:

ـ صَوْصَوْ.. الشَّجَرَةُ تَعْلُو فِي الْجَوِّ..

احْذَرْ ... هُنَاكَ خَطَرٌ

اشْتَدَّتْ أَشِعَّةُ الشَّمْسِ فِي الْغَابَةِ، وَآوَتِ الْحَيَوَانَاتُ إِلَى بُيُوتِهَا، فَقَطْ ظَلَّ الْأَسَدُ مُرَابِضًا فِي مَكَانِهِ، وَلَا أَحَدَ يَسْتَطِيعُ الِاقْتِرَابَ مِنْهُ، أَوِ الْمُرُورَ أَمَامَهُ..

زَأَرَ الْأَسَدُ مِنْ جَدِيدٍ، فَاهْتَزَّتْ لِزَئِيرِهِ الْغَابَةُ، وَكَأَنَّهُ يُكَرِّرُ وَيُحَذِّرُ:

- مَنْ يَسْتَطِيعُ الِاقْتِرَابَ؟

كَانَتِ الذُّبَابَةُ فِي طَرِيقِهَا إِلَى بَيْتِهَا، اهْتَزَّتْ لِزَئِيرِ الْأَسَدِ، ثُمَّ عَادَتْ وَتَمَاسَكَتْ.

رَآهَا الْأَسَدُ، فَصَرَخَ فِي وَجْهِهَا:

- أَنْتِ أَيَّتُهَا الصَّغِيرَةُ الْحَقِيرَةُ.. اذْهَبِي وَإِلَّا سَحَقْتُكِ!

اغْتَاظَتِ الذُّبَابَةُ لِأَنَّ الْأَسَدَ وَصَفَهَا بِأَنَّهَا صَغِيرَةٌ وَحَقِيرَةٌ، وَقَالَتْ لَهُ:

ـ سَوْفَ أُرِيكَ أَيُّهَا الْأَسَدُ.

ضَحِكَ الْأَسَدُ ضَحِكَةً قَوِيَّةً اهْتَزَّتْ لَهَا الْحَيَوَانَاتُ الْمُجَاوِرَةُ:

ـ أَنْتِ يَا ذُبَابَةُ؟!

وَلَمْ تَرُدَّ الذُّبَابَةُ، تَرَكَتْهُ الذُّبَابَةُ يَصْرُخُ وَيَصِيحُ وَيَضْحَكُ:

ـ أَنَا أَقْوَى حَيَوَانَاتِ الْغَابَةِ تُهَدِّدُنِي ذُبَابَةٌ.

هَدَأَ الْأَسَدُ وَجَلَسَ، كَانَتِ الذُّبَابَةُ تُرَاقِبُهُ، وَرَاحَتْ تَقْتَرِبُ مِنْهُ بِبُطْءٍ، ثُمَّ حَطَّتْ بِجِوَارِ عَيْنَيْهِ، وَحِينَ أَدْرَكَتْ أَنَّهُ لَمْ يَشْعُرْ بِهَا اقْتَرَبَتْ أَكْثَرَ وَأَكْثَرَ، ثُمَّ لَدَغَتْهُ فِي عَيْنِهِ. جُنَّ جُنُونُ الْأَسَدِ، وَصَرَخَ:

ـ أَيَّتُهَا الْحَقِيرَةُ كَيْفَ تَجَرَّأْتِ؟!

وَلَمْ تَرُدَّ الذُّبَابَةُ، بَلْ بَادَرَتْهُ بِاللَّدْغَةِ الثَّانِيَةِ وَالثَّالِثَةِ، رَاحَ الْأَسَدُ يَلْطِمُ عَيْنَيْهِ بِقَدَمَيْهِ، وَيَضْرِبُ رَأْسَهُ فِي جُذُوعِ الْأَشْجَارِ، وَحَاوَلَ أَنْ يَحْبِسَ دُمُوعَهُ!

انْزَوَى الْأَسَدُ بِجِوَارِ شَجَرَةٍ ضَخْمَةٍ وَجَلَسَ،

نَظَرَتْ إِلَيْهِ الذُّبَابَةُ بِاحْتِقَارٍ، وَكَأَنَّهَا تَقُولُ لَهُ:

ـ هَذَا الْقَدْرُ يَكْفِيكَ.

وَالْأَسَدُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْنِ حَزِينَتَيْنِ وَكَأَنَّهُ يَقُولُ لَهَا:

ـ عَرَفْتُ قَدْرَكِ أَيَّتُهَا الذُّبَابَةُ.

وَمِنْ يَوْمِهَا تَعَلَّمَ الْأَسَدُ

أَلَّا يَسْتَصْغِرَ حَجْمَ عَدُوِّهِ.

أُسْطُورَةُ «عَزْمِي»

هَذَا هُوَ «خَالِدٌ»، يَعْلُو صَوْتُهُ فِي الْبَيْتِ، يَجْرِي فِي أَنْحَائِهِ، يَقْلِبُ مَقْعَدًا فِي طَرِيقِهِ، أَوْ يَقْلِبُ مَائِدَةً، وَهَا هُوَ وَالِدُهُ سَيَعْرِفُ كَيْفَ يَجْعَلُهُ يَسْكُتُ، يَصِيحُ الْأَبُ قَائِلًا:

- يَا «عَزْمِي».

يَنْظُرُ «خَالِدٌ» إِلَى أَبِيهِ، يَرَاهُ غَاضِبًا وَهُوَ يَنْطِقُهَا، يَنْظُرُ إِلَى أُمِّهِ الَّتِي تَقِفُ عَابِسَةً هِيَ الْأُخْرَى، تَبْدُو كَأَنَّهَا تَرْتَقِبُ خَطَرًا قَادِمًا! يُوَاصِلُ الْأَبُ النِّدَاءَ:

- يَا «عَزْمِي».

حِينَئِذٍ يَجْرِي «خَالِدٌ» وَيَرْتَمِي فِي حِضْنِ أُمِّهِ، وَيَنْظُرُ إِلَى الْبَابِ، سَوْفَ يُفْتَحُ الْآنَ وَيَدْخُلُ «عَزْمِي»، وَيَتَسَاءَلُ:

- لَكِنْ مَاذَا يَفْعَلُ بِي «عَزْمِي» يَا أَبِي؟

لَا يَرُدُّ الْأَبُ، يَتْرُكُ الْأَمْرَ هَكَذَا غَامِضًا، وَعِنْدَمَا يُلِحُّ «خَالِدٌ» بِالسُّؤَالِ، تَتَغَيَّرُ مَلَامِحُ الْأَبِ مِنْ جَدِيدٍ، وَيَقُولُ فِي لُغَةٍ مُحَذِّرَةٍ:

- هَلْ سَتَسْكُتُ أَمْ أُنَادِي عَلَى «عَزْمِي»؟

يَسْكُتُ «خَالِدٌ» وَيَلْجَأُ إِلَى اللَّعِبِ النَّظِيفِ، دُونَ صَوْتٍ عَالٍ، وَلَا مَقَاعِدَ تَنْقَلِبُ، وَلَا خَسَائِرَ فِي الْبَيْتِ، وَلَا كُرَةٍ فِي بَهْوِ الْمَنْزِلِ؛ حَتَّى يَتَّقِيَ شَرَّ «عَزْمِي». وَمَا إِنْ يَبْتَسِمُ الْأَبُ وَتَبْتَسِمُ الْأُمُّ حَتَّى يَنْسَى «خَالِدٌ» وَيَعُودَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ، يَضْرِبُ الْكُرَةَ فِي الْحَائِطِ، وَتَنْقَلِبُ الْمَقَاعِدُ، وَتَتَحَطَّمُ بَاقَاتُ الزُّهُورِ، وَيَصْبِرُ الْأَبُ قَلِيلًا وَكَثِيرًا، لَكِنْ يَضِيقُ أَخِيرًا مِنْ هَذَا الْوَلَدِ الشَّقِيِّ، يَصْرُخُ الْأَبُ مِنْ جَدِيدٍ:

- يَا «عَزْمِي».

وَيَنْكَمِشُ «خَالِدٌ» قَلِيلًا، ثُمَّ يَجْرِي صَوْبَ أُمِّهِ، وَيُرَدِّدُ:

- «عَزْمِي» يَا أُمِّي.

تَقُولُ الْأُمُّ:

- «عَزْمِي» يُحِبُّ الْأَوْلَادَ الطَّيِّبِينَ.

لَكِنَّ «خَالِدًا» كَانَ يُفَكِّرُ: تُرَى مَا شَكْلُ «عَزْمِي»؟ هَلْ هُوَ مِثْلُ النَّاسِ؟ وَمَاذَا يَفْعَلُ بِالْأَوْلَادِ الْأَشْقِيَاءِ الَّذِينَ لَا يَسْمَعُونَ الْكَلَامَ؟

مَرَّتْ أَيَّامٌ وَخَرَجَ «خَالِدٌ» مَعَ أَبِيهِ وَأُمِّهِ لِشِرَاءِ بَعْضِ الْمَلَابِسِ لِـ «خَالِدٍ».

وَصَلُوا إِلَى أَكْبَرِ شَرِكَةٍ فِي الْمَدِينَةِ، كَانَتْ مَلْأَى بِالْأَقْمِشَةِ وَالْمَلَابِسِ الْجَمِيلَةِ، قَالَ الْأَبُ:

- أُرِيدُ أَنْ أُشَاهِدَ الْقُمْصَانَ.

ابْتَسَمَ الرَّجُلُ وَقَالَ بِكُلِّ سُرُورٍ:

- سَأُنَادِي الْمَسْؤُولَ عَنْهَا.

وَصَاحَ الرَّجُلُ بِصَوْتٍ عالٍ:

- يَا «عَزْمِي».

وَهُنَا تَجَمَّدَ «خَالِدٌ» فِي مَكَانِهِ، وَأَمْسَكَ بِأَبِيهِ جَيِّدًا، وَرَآهُ يَضْحَكُ وَرَأَى الْأُمَّ كَذَلِكَ. وَأَخَذَ «خَالِدٌ» يَتَرَقَّبُ قُدُومَ «عَزْمِي»، وَيَا لَلْمُفَاجَأَةِ كَانَ «عَزْمِي» فَتًى صَغِيرًا يَبْتَسِمُ وَيَقُولُ:

- «عَزْمِي» فِي خِدْمَةِ الْجَمِيعِ.. مَا اسْمُهُ؟

قَالَ الْأَبُ:

- إِنَّهُ «خَالِدٌ».

قَالَ «عَزْمِي»:

ـ «عَزْمِي» يُرَحِّبُ بِـ «خَالِدٍ».

وَبَدَأَ يَعْرِضُ مَا عِنْدَهُ مِنْ مَلَابِسَ، وَ«خَالِدٌ» يَنْظُرُ لِـ «عَزْمِي» بِإِعْجَابٍ، ثُمَّ وَاتَتْهُ الشَّجَاعَةُ لِكَيْ يُبَادِلَهُ الْحَدِيثَ، وَ«عَزْمِي» يُرَحِّبُ وَيَبْتَسِمُ وَيَضْحَكُ.

وَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ تَحَطَّمَتْ أُسْطُورَةُ «عَزْمِي» الَّتِي صَنَعَهَا الْأَبُ، وَأَصْبَحَ الْبَيْتُ مَلْعَبًا رَائِعًا لِـ «خَالِدٍ».

اسْمُ أُمِّي

كَانَ لَا بُدَّ أَنْ يَجِدَ «شَجَرَةً»، لَمْ يَكُنْ يَقْصِدُ الشَّجَرَةَ الْخَضْرَاءَ الْمَزْرُوعَةَ فِي الْأَرْضِ.. كَانَ يَقْصِدُ أُمَّهُ، اسْمُهَا «شَجَرَةُ».. هُوَ اسْمٌ جَمِيلٌ غَيْرَ أَنَّهُ عَجِيبٌ غَرِيبٌ، لَكِنَّهَا بِالْفِعْلِ كَالشَّجَرَةِ تَمْنَحُ الظِّلَّ وَالرَّاحَةَ، وَتُسْدِلُ فُرُوعَهَا عَلَى أَبْنَائِهَا فِي حُبٍّ وَحَنَانٍ.

كَانَ بَائِعُ الْأَسْمَاءِ يَبِيعُ، وَكَانَ الْأَوْلَادُ يَجْتَمِعُونَ حَوْلَهُ، كُلٌّ يَبْحَثُ فِي الْأَسْمَاءِ الْمُكَدَّسَةِ عَنِ اسْمِ أُمِّهِ مَنْحُوتًا مِنَ الْخَشَبِ، وَعَلَيْهِ طِلَاءٌ جَمِيلٌ، وَلَهُ سِلْسِلَةٌ صَغِيرَةٌ مِنْ حَدِيدٍ..

يَا لَهَا مِنْ لَمْسَةٍ رَقِيقَةٍ تُوضَعُ مَعَ هَدِيَّةِ عِيدِ الْأُمِّ.. مَا أَجْمَلَ أَنْ تَفْرَحَ بِاسْمِهَا عِنْدَمَا تَرَاهُ مَنْحُوتًا وَمُزَرْكَشًا وَمُلَوَّنًا.. وَبِنُقُودٍ قَلِيلَةٍ تَقْرَأُ الْأُمُّ اسْمَهَا مُجَسَّمًا فِي شَكْلٍ جَمِيلٍ.

رَاحَ يُقَلِّبُ الْأَسْمَاءَ أَمَامَ الْبَائِعِ: خَدِيجَةُ.. صَبَاحُ.. أَحْلَامُ.. أُمُّ كُلْثُومٍ.. فَاطِمَةُ.. شَيْمَاءُ.. مَيُّ.. إِنْجِي.. مُنَى.. هَدِيلُ.. أَسْمَاءٌ كَثِيرَةٌ كَثِيرَةٌ.

لَكِنَّهُ لَمْ يَجِدِ اسْمَ أُمِّهِ، وَسَأَلَ الْبَائِعَ:

- أَيْنَ اسْمُ أُمِّي؟

رَدَّ الْبَائِعُ وَهُوَ يَبْتَسِمُ:

- كُلُّ الْأَسْمَاءِ يَا وَلَدِي أَمَامَكَ، خُذْ مَا تُرِيدُ.. وَسَتَجِدُ كُلَّ الْأَسْمَاءِ.. لَمْ نُهْمِلِ اسْمًا عَلَى الْإِطْلَاقِ.

وَيَبْحَثُ الْوَلَدُ وَيَبْحَثُ دُونَ فَائِدَةٍ، فَقَالَ يَائِسًا:

- لَا فَائِدَةَ!

فَسَأَلَهُ الْبَائِعُ:

- لِمَاذَا أَنْتَ يَائِسٌ هَكَذَا؟ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ عِنْدَكَ كُلُّ الْأَسْمَاءِ؟!

فَقَالَ الْوَلَدُ:

- إِلَّا اسْمَ أُمِّي «شَجَرَةَ».

رَدَّ الْبَائِعُ بِاسْتِغْرَابٍ:

- «شَجَرَةُ»! هَذَا اسْمٌ لِلتَّحَدِّي.. لَيْسَ عِنْدِي هَذَا الِاسْمُ. «شَجَرَةُ» إِنَّهُ اسْمٌ غَرِيبٌ حَقًّا!

قَالَ الْوَلَدُ:

- لَكِنَّهُ مُمَيَّزٌ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

أَجَابَ الْبَائِعُ:

- وَرَائِعٌ أَيْضًا.. مَا أَعْظَمَ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ شَجَرَةً!

لَكِنِّي لَنْ أَسْتَطِيعَ أَنْ أُسَاعِدَكَ.

وَعَادَ بَائِعُ الْأَسْمَاءِ يَصِيحُ:

ـ الْأَسْمَاءُ.. كُلُّ الْأَسْمَاءِ عِنْدِي مَا عَدَا اسْمَ «شَجَرَةَ».

وَالْأَوْلَادُ يَتَزَاحَمُونَ، أَمَّا الْوَلَدُ فَقَدْ مَضَى حَزِينًا، وَعَادَ إِلَى الْبَيْتِ، كَانَ يَتَمَنَّى أَنْ تَكُونَ هَدِيَّتُهُ اسْمَ أُمِّهِ مَحْفُورًا جَمِيلًا.

مَدَّ يَدَهُ لِيُرَتِّبَ كُتُبَهُ، فُوجِئَ بِقِطْعَةٍ مِنَ الْوَرَقِ السَّمِيكِ.. نَظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ ابْتَسَمَ:

ـ يَا لَهَا مِنْ فِكْرَةٍ.. لِمَاذَا لَا أُحَاوِلُ؟!

وَبِالْفِعْلِ رَاحَ يَخُطُّ اسْمَ أُمِّهِ عَلَى قِطْعَةِ الْوَرَقِ الْكَرْتُونِيَّةِ.. وَعِنْدَمَا انْتَهَى رَآهُ جَمِيلًا، وَرَأَى خَطَّهُ مُنَاسِبًا لِهَذَا الْجَمَالِ.. رَاحَ يُلَوِّنُ الِاسْمَ. اخْتَارَ أَنْ يُلَوِّنَهُ بِاللَّوْنِ الْأَخْضَرِ.. لَوَّنَ الشَّجَرَةَ وَلَوَّنَ الْغِطَاءَ، كَانَ الِاسْمُ رَائِعًا، وَرَاحَ يَضْغَطُ عَلَى الْخُطُوطِ الْخَارِجِيَّةِ بِسِنِّ الْقَلَمِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، حَتَّى اسْتَطَاعَ أَنْ يَحْفِرَ الِاسْمَ الْجَمِيلَ عَلَى وَرَقِ الْكَرْتُونِ الْمُقَوَّى..

صَارَ الِاسْمُ جَمِيلًا كَمَا لَوْ كَانَ قَدِ اشْتَرَاهُ مِنْ بَائِعِ الْأَسْمَاءِ، وَرَأَى أَصْدِقَاؤُهُ الِاسْمَ، وَانْدَهَشُوا كَثِيرًا لِجَمَالِهِ.. إِنَّهَا فِكْرَةٌ رَائِعَةٌ. وَرَاحُوا يَتَفَرَّجُونَ عَلَيْهِ. وَبَدَأَتْ أَفْكَارٌ جَدِيدَةٌ تَظْهَرُ بَعْدَ هَذِهِ الْفِكْرَةِ.

أَمَّا وَالِدَتُهُ فَقَدْ كَانَتْ أَسْعَدَ الْأُمَّهَاتِ.. لَقَدْ حَصَلَتْ عَلَى اسْمِهَا مُلَوَّنًا وَرَائِعًا، وَالَّذِي قَامَ بِصُنْعِ هَذَا الْجَمَالِ هُوَ ابْنُهَا الْعَزِيزُ. ضَمَّتِ الْأُمُّ وَلَدَهَا إِلَى صَدْرِهَا وَقَالَتْ:

ـ حَفِظَكَ اللهُ يَا وَلَدِي.

نجمة

الِابْنُ الْغَائِبُ

مَـنْ فِي الْمَدِينَـةِ لَا يَعْـرِفُ الْعَمَّ «طَلْعَـتْ»؟! حَتَّى الَّذِيـنَ لَا يَهْتَمُّـونَ بِالْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَـةِ يَعْرِفُونَهُ؛ فَهُوَ يَتَبَوَّأُ مَكَانًا مُمَيَّزًا فِي أَجْمَلِ شَـوَارِعِ الْمَدِينَةِ، وَأَمَامَ مَكْتَبَتِهِ مَائِدَةٌ كَبِيرَةٌ، اصْطَفَّتْ فَوْقَهَا الْكُتُبُ الْقَدِيمَةُ.. دَائِمًا قَدِيمَةٌ.

لَكِـنَّ الْجَمِيـعَ يَذْهَبُونَ إِلَيْـهِ؛ فَالْمَكْتَبَـةُ الصَّغِيرَةُ يَسْـكُنُهَا التُّـرَاثُ وَالْقِصَصُ الْجَمِيلَةُ وَالْمُغَامَرَاتُ الْمُثِيرَةُ.. وَلِأَنَّ الْكُتُبَ الَّتِي لَدَيْهِ جُمِعَتْ مِنْ مَكْتَبَاتٍ شَـتَّى اشْتَرَاهَا وَاعْتَنَى بِهَا، تَرَاهُ دَائِمًا يَبْتَسِمُ وَهُوَ يَضُمُّ الْكِتَابَ لِصَدْرِهِ، وَيَقُولُ:

ـ السِّـعْرُ زَهِيدٌ.. صَحِيحٌ أَنَّهَا كُتُـبٌ قَدِيمَةٌ، لَكِنَّ الْقَدِيمَ هُوَ الْـوَرَقُ، أَمَّا الْكَلَامُ فَهُوَ الْكَلَامُ وَالْمَضْمُونُ هُوَ الْمَضْمُونُ. فَمَنْ يَقْرَأُ يَا نَاسُ؟

وَيَمِيلُ الْكُلُّ إِلَيْهِ، يَشْتَرُونَ الْكُتُبَ وَالْمَجَلَّاتِ وَالْمُغَامَرَاتِ الْمُثِيرَةَ.. وَالْأَطْفَالُ الَّذِينَ لَا يَسْـتَطِيعُونَ شِـرَاءَ الْكُتُـبِ، فَهُنَاكَ بَنْدُ الِاسْـتِعَارَةِ، بِجُنَيْـهٍ تَأْخُذُ الْكِتَابَ أُسْبُوعًا، وَبِجُنَيْهَيْنِ تَأْخُذُهُ أُسْبُوعَيْنِ ثُمَّ تَعُودُ لِكِتَابٍ جَدِيدٍ.

لَاحَـظَ النَّـاسُ غِيَابَ الْعَمِّ «طَلْعَـتْ».. ذَاتَ يَوْمٍ، لَمْ يَعُدْ يَـرَاهُ أَحَدٌ فِي مَكْتَبَتِهِ، ثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ كَانُوا يَقِفُونَ فِي نَفْسِ مَكَانِهِ.. وَحِينَ سَأَلْنَا عَنْهُمْ قَالُوا:

ـ إِنَّهُمْ أَوْلَادُهُ.. لَقَدْ رَحَلَ الْعَمُّ «طَلْعَتْ».

حَـزِنَ النَّـاسُ عَلَيْـهِ كَثِيـرًا، ثُمَّ ذَهَـبَ الْحُـزْنُ وَوَلَّى مَعَ الْأَيَّـامِ، فَهَا هُـمُ الْأَبْنَاءُ يُوَاصِلُـونَ رِحْلَةَ الْأَبِ، وَالْمَكْتَبَـةُ ازْدَحَمَتْ مِنْ جَدِيدٍ، وَهِيَ زَاخِـرَةٌ بِكُلِّ أَلْوَانِ الْمَعْرِفَةِ مِنْ تُرَاثٍ وَعِلْمٍ وَأَدَبٍ.

مَـرَّتْ أَيَّـامٌ وَرَاءَ أَيَّامٍ، وَلَاحَـظَ النَّاسُ غِيَابَ أَحَـدِ الْأَبْنَاءِ الثَّلَاثَـةِ، ثُمَّ لَاحَظُوا شَـيْئًا غَرِيبًـا، لَقَدْ زَحَفَتِ الْكُتُبُ الْجَدِيدَةُ الْمَلْأَى بِالصُّـوَرِ الْمُلَوَّنَةِ، وَالْخَالِيَةُ مِنَ الْهَـدَفِ وَالْمَضْمُونِ، وَلَاحَظُوا ارْتِفَاعَ ثَمَنِ الْكِتَابِ بِشَـكْلٍ وَاضِحٍ، وَقَلَّ الزِّحَامُ أَمَامَ الْمَكْتَبَةِ، وَرَاحَ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ:

- أَيْـنَ أَيَّامُ زَمَانٍ؟! أَيْنَ كُتُبُ الْعَمِّ «طَلْعَتَ» الْعَامِـرَةُ بِالْفِكْرَةِ وَالْإِبْدَاعِ وَالزَّهِيدَةُ فِي السِّعْرِ؟! أَيْنَ.. وَأَيْنَ؟

لَكِنَّ شَيْخًا وَقُورًا كَانَ يَقِفُ بِجِوَارِ الْمَكْتَبَةِ، يُرَدِّدُ فِي صَمْتٍ:

- أَيْنَ الْوَلَدُ الثَّالِثُ؟

وَرَدَّدَ آخَرُونَ:

- نَعَمْ.. أَيْنَ الْوَلَدُ الثَّالِثُ؟

وَمَرَّتْ أَيَّامٌ وَجَاءَ الشَّيْخُ إِلَى الْمَكْتَبَةِ، وَقَالَ:

- مَنْ يَسُرُّهُ رُؤْيَةُ الْأَخِ الثَّالِثِ.. فَلْيَتْبَعْنِي.

وَمَضَى الْوَاقِفُونَ خَلْفَهُ يَجْتَازُونَ الدُّرُوبَ وَيَدْخُلُونَ الْأَزِقَّةَ، وَأَخِيرًا أَشَارَ الشَّيْخُ بِعَصَاهُ وَقَالَ:

- هَا هُوَ «أَحْمَدُ».. الِابْنُ الثَّالِثُ.

نَظَرَ النَّاسُ فَوَجَدُوا مَكْتَبَةً صَغِيرَةً عَامِرَةً بِالْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ الرَّائِعَةِ، الْمَلْأَى بِالْمَضْمُونِ، الزَّاخِرَةِ بِالْمَعَانِي، الزَّهِيدَةِ السِّعْرِ، وَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ مُسْرِعِينَ، وَمَا هِيَ إِلَّا أَيَّامٌ حَتَّى زَحَفَتِ الْمَدِينَةُ إِلَيْهِ.

قَالَ بَعْضُ النَّاسِ:

- لَقَدْ ظَهَرَ الْعَمُّ «طَلْعَتْ» فِي أَحَدِ الْأَزِقَّةِ.

وَابْتَسَمَ «أَحْمَدُ» وَقَالَ:

- كُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ سَتَجِدُونَهُ.. لَدَيَّ بَنْدٌ لِلْبَيْعِ وَبَنْدٌ لِلِاسْتِعَارَةِ.

الْإِشَارَةُ الْحَمْرَاءُ

نَظَرَتْ إِشَارَةُ الْمُرُورِ الْحَمْرَاءُ لِوَجْهِ الرَّجُلِ الْجَالِسِ فِي سَيَّارَتِهِ وَهُوَ يَضْرِبُ عَلَى مِقْوَدِهَا فِي ضِيقٍ، وَقَالَتْ:

- يَا لَهُ مِنْ مُتَعَجِّلٍ.. مُتَعَجِّلٍ جِدًّا.

ثُمَّ أَضَافَتْ لِنَفْسِهَا قَائِلَةً:

- النَّاسُ دَائِمًا مُتَعَجِّلُونَ.. يُرِيدُونَ الِانْطِلَاقَ، وَيَرْفُضُونَ أَيَّ مَانِعٍ لِلِانْطِلَاقِ.

ثُمَّ رَاحَتِ الْإِشَارَةُ الْحَمْرَاءُ تُفَكِّرُ:

- مَعَ أَنِّي سَعِيدَةٌ بِهِمْ.. مَا إِنْ أَلْمَعْ بِلَوْنِيَ الْأَحْمَرِ حَتَّى تَتَوَقَّفَ كُلُّ السَّيَّارَاتِ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنِّي.. فَأَفْرَحَ لَحَظَاتٍ بِمَوْكِبِهَا الْجَمِيلِ، لَكِنِّي اكْتَشَفْتُ فَجْأَةً أَنَّ النَّاسَ

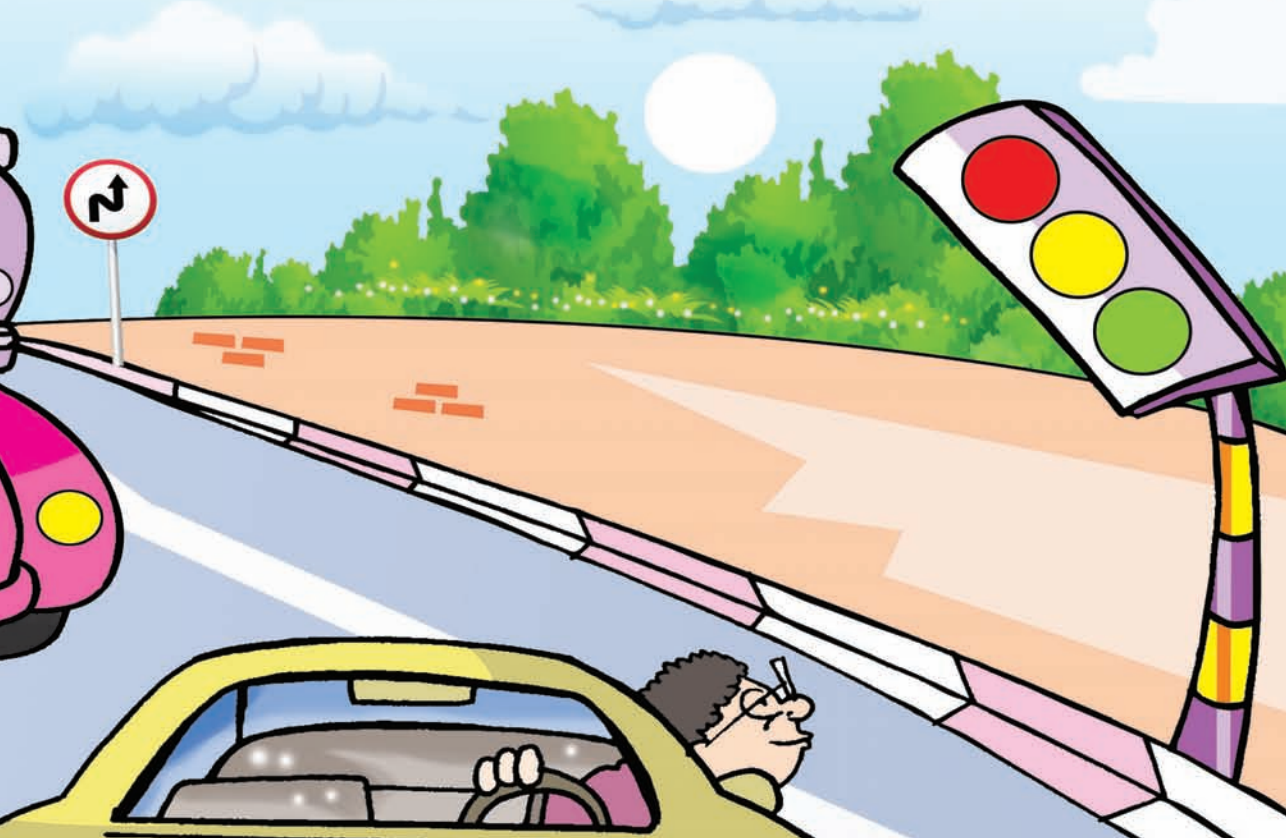

يَتَضَايَقُونَ مِنِّي، فَهَلْ أَسَأْتُ إِلَيْهِمْ؟

وَرَاحَتْ تُفَكِّرُ مِنْ جَدِيدٍ، وَتُفَكِّرُ:

- الْكُلُّ يَسْعَى لِلْحَرَكَةِ، الْكُلُّ يَجْرِي صَوْبَ هَدَفِهِ، لَعَلِّي أَنَا السَّبَبُ فِي تَعْطِيلِ النَّاسِ.

وَرَاحَتِ الْإِشَارَةُ الْحَمْرَاءُ تَتَذَكَّرُ كُلَّ الَّذِينَ تَضَايَقُوا مِنْهَا الْيَوْمَ عِنْدَمَا لَمَعَتْ بِلَوْنِهَا، وَكُلَّ الَّذِينَ تَضَايَقُوا مِنْهَا بِالْأَمْسِ، بَلْ وَقَبْلَ ذَلِكَ.. هَلْ صَارَتْ مَكْرُوهَةً بِالْفِعْلِ؟

وَهُنَا تَذَكَّرَتْ شَيْئًا آخَرَ، فَرَاحَتْ تُرَدِّدُ فِي حُزْنٍ:

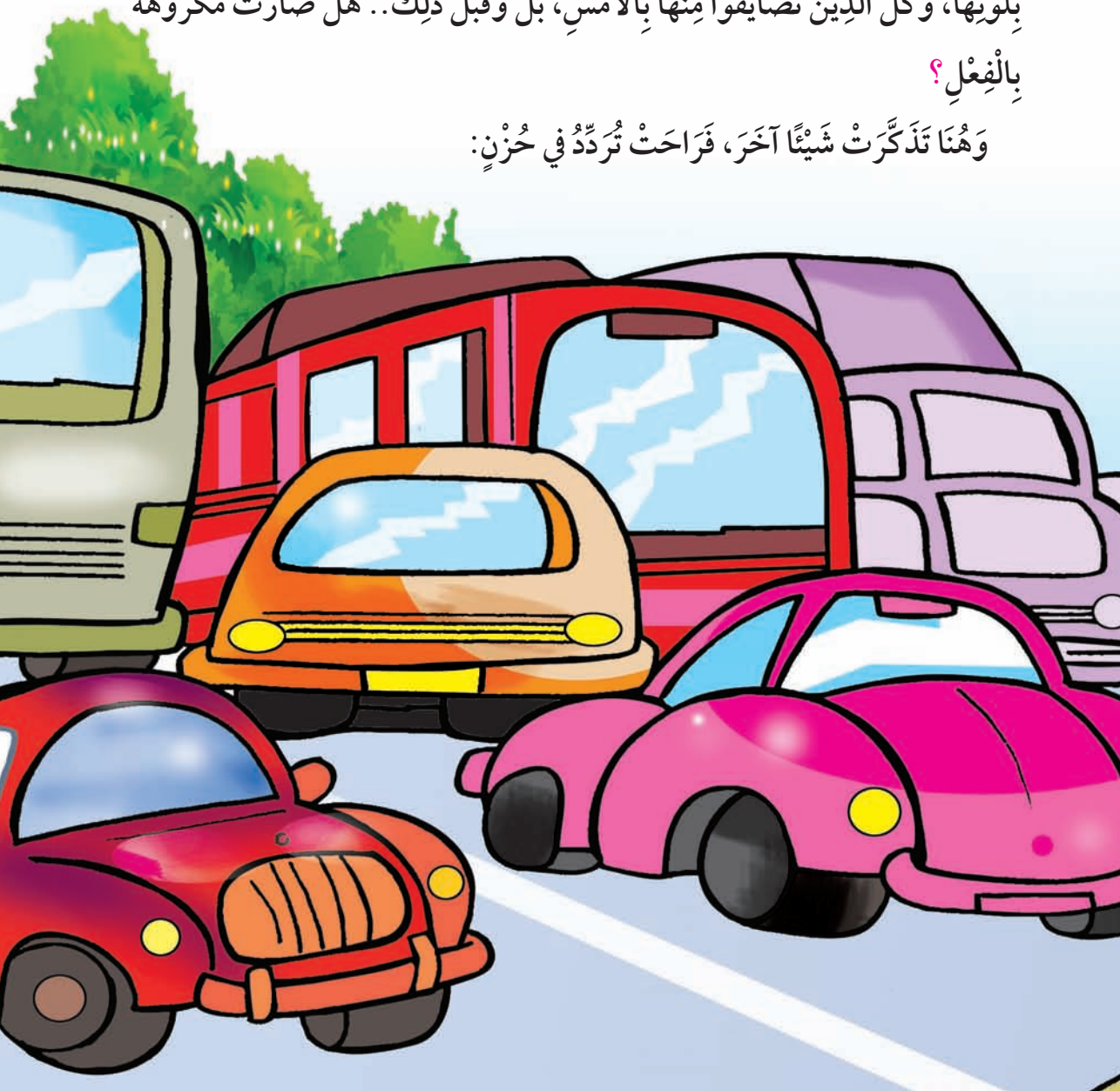

ـ لَا أَحَدَ يَبْتَسِمُ لِي.. لَقَدْ تَذَكَّرْتُ ذَلِكَ.. إِنَّهُمْ يَبْتَسِمُونَ عِنْدَمَا تَلْمَعُ الْخَضْرَاءُ، وَقَدْ يَبْتَسِمُونَ لِلصَّفْرَاءِ، وَيُطْلِقُونَ التَّحِيَّةَ بِأَصْوَاتِ سَيَّارَاتِهِمْ، لَكِنْ مَاذَا عَلَيَّ أَنْ أَفْعَلَ؟

وَأَخَذَتْ تُفَكِّرُ وَتُفَكِّرُ، لَا بُدَّ مِنْ مُمَارَسَةِ الْعَمَلِ عَلَى نَحْوٍ جَدِيدٍ: لِمَاذَا أَلْمَعُ فَوْرَ صُدُورِ الْأَمْرِ لِي؟! لِمَاذَا لَا أُغْمِضُ عَيْنِي مَرَّةً؟!

كَانَ عَلَيْهَا أَنْ تَلْمَعَ عِنْدَمَا لَمَحَتْ شَابًّا صَغِيرًا قَادِمًا بِسَيَّارَتِهِ، أَعْجَبَهَا مَنْظَرُ سَيَّارَتِهِ، وَأَعْجَبَهَا أَنَّهُ يَضَعُ بِجِوَارِهِ بَعْضَ الصُّحُفِ وَالْمَجَلَّاتِ؛ هُوَ شَابٌّ مُثَقَّفٌ إِذَنْ.

فِي الْبَدْءِ لَمَعَتْ، فَتَوَقَّفَ الشَّابُّ بِسَيَّارَتِهِ، لَكِنَّهَا عَادَتْ لِتُغْمِضَ عَيْنَهَا مِنْ جَدِيدٍ، وَبَعْدَهَا لَمَعَتِ الْإِشَارَةُ الْخَضْرَاءُ، وَقَدْ بَدَا عَلَيْهَا الدَّهْشَةُ، تَعَجَّبَ الشَّابُّ وَهُوَ يَرَى الْإِشَارَةَ قَدْ عَادَتْ خَضْرَاءَ فِي لَحْظَةٍ، لَكِنَّهُ فَرِحَ لِذَلِكَ وَانْطَلَقَ.

كَانَتِ الْإِشَارَةُ عَلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ خَضْرَاءَ هِيَ الْأُخْرَى؛ أَيْ أَنَّ الْإِشَارَتَيْنِ مُضِيئَتَانِ، وَوَقَفَتْ سَيَّارَةٌ فَجْأَةً، كَانَ الصَّوْتُ هَادِرًا وَمُزْعِجًا وَصَارِخًا، وَكَانَتِ السَّيَّارَةُ لِأَحَدِ الشَّبَابِ.

نَظَرَتِ الْإِشَارَةُ الْحَمْرَاءُ فَوَجَدَتْ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ وَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ، لَكِنَّهُ تَمَالَكَ وَنَهَضَ سَرِيعًا، وَأَمْسَكَ بِعَصَاهُ وَقَالَ:

ـ الْحَمْدُ لِلّٰهِ.. لَوْلَا سَتْرُ اللهِ لَأَصَابَتْنِي السَّيَّارَةُ.

دَقَّ قَلْبُ الْإِشَارَةِ الْحَمْرَاءِ وَهِيَ تُطَالِعُ الرَّجُلَ وَوَجْهَ الشَّابِّ، ثُمَّ وَهِيَ تُطَالِعُ وُجُوهَ النَّاسِ وَقَدْ بَدَا عَلَيْهَا الْفَزَعُ. وَأَسْرَعَ الْجَمِيعُ لِمُسَاعَدَةِ الرَّجُلِ، أَمَّا هِيَ فَقَدْ

كَانَتْ وَاقِفَةً عَاجِزَةً عَنْ فِعْلِ أَيِّ شَيْءٍ.

قَالَتِ الْإِشَارَةُ الْحَمْرَاءُ فِي حُزْنٍ:

- أَنَا السَّبَبُ.. أَنَا السَّبَبُ.. أَنَا الَّتِي تَكَاسَلْتُ عَنْ أَدَاءِ وَاجِبِي وَأَغْمَضْتُ عَيْنِي، فَزَاغَ الْبَصَرُ وَضَلَّ النَّاسُ طَرِيقَهُمْ.

لَكِنَّهَا حَمِدَتِ اللهَ أَنَّ الْأَمْرَ قَدْ مَرَّ بِسَلَامٍ، وَأَنَّ الشَّيْخَ لَمْ يُصِبْهُ أَذًى، لَكِنَّهَا قَرَّرَتْ أَنْ تَفْتَحَ عَيْنَهَا دَائِمًا، وَتُنَفِّذَ مَا يُطْلَبُ مِنْهَا دُونَ إِبْطَاءٍ، خَاصَّةً بَعْدَ أَنْ عَرَفَتْ أَهَمِّيَّتَهَا وَدَوْرَهَا فِي حِمَايَةِ النَّاسِ وَالنِّظَامِ.

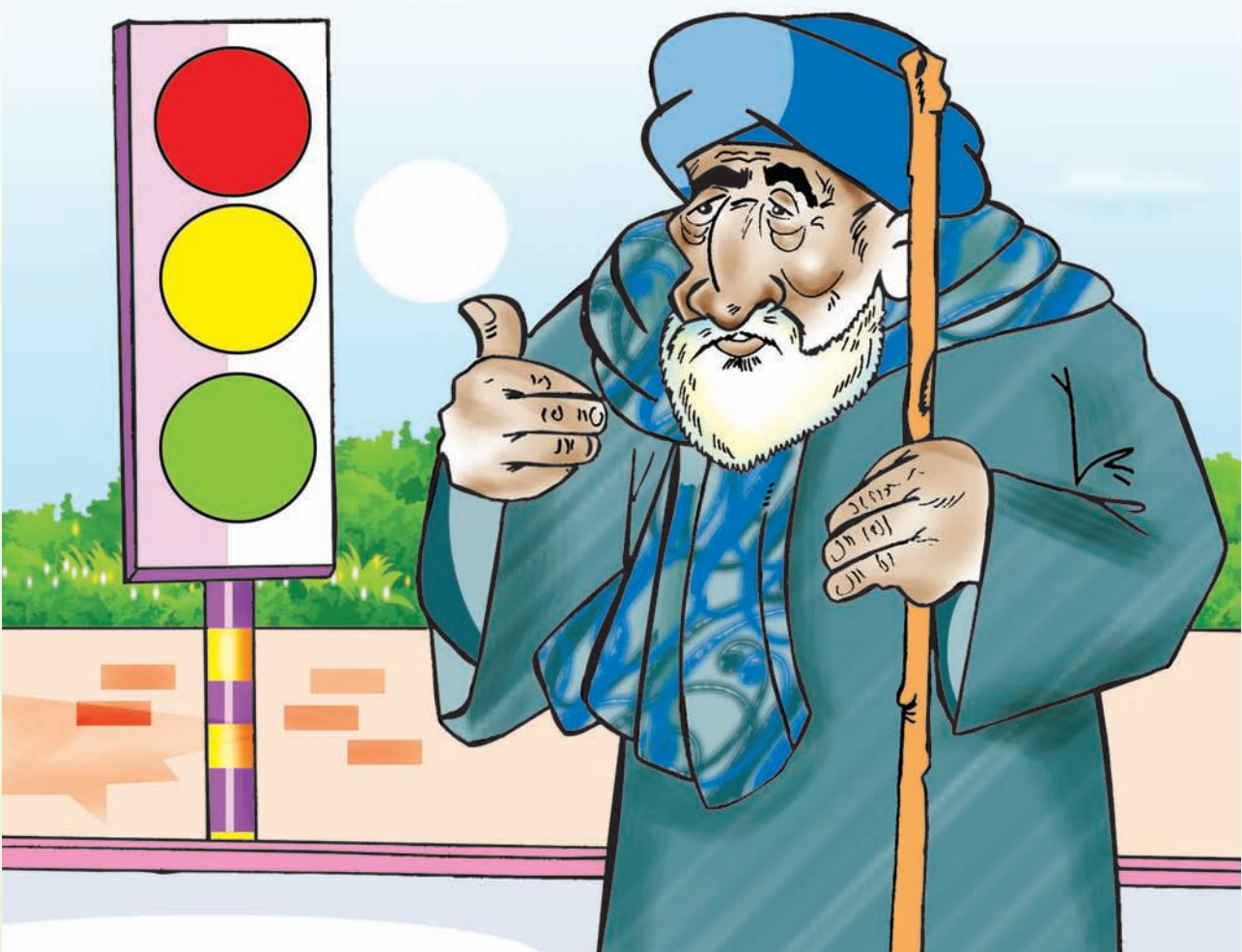

الْأَقْصَى وَالْأَلْوَانُ

رَسَمَ «مُحَمَّدٌ» مَسْجِدًا كَبِيرًا وَلَهُ قُبَّةٌ كَبِيرَةٌ، وَحَوْلَهُ رَسَمَ أَشْجَارًا وَأَنْهَارًا صَغِيرَةً، وَعِنْدَ مَدْخَلِهِ رَسَمَ نَخْلَتَيْنِ، وَبِجِوَارِ النَّخْلَةِ رَسَمَ الْبُرَاقَ، وَقَالَ:

- هُوَ هَكَذَا، أَكْبَرُ مِنَ الْحِمَارِ وَأَقَلُّ مِنَ الدَّابَّةِ.

وَقَالَ لِأَخِيهِ:

- هَا هُوَ الْأَقْصَى يَا «أَحْمَدُ».. انْظُرْ.

قَالَ «أَحْمَدُ»:

- إِنَّ لَهُ قُبَّةً كَبِيرَةً يَا «مُحَمَّدُ»!

أَجَابَ «مُحَمَّدٌ» مُوَافِقًا:

- نَعَمْ يَا «أَحْمَدُ»، وَلَهُ تَارِيخٌ كَبِيرٌ. أَرَأَيْتَ لِمَاذَا رَسَمْتُ الْبُرَاقَ عِنْدَ الْمَدْخَلِ؟

سَأَلَهُ «أَحْمَدُ»:

- لِمَاذَا يَا «مُحَمَّدُ»؟!

أَجَابَ «مُحَمَّدٌ»:

- لِأَنَّهُ مَاثِلٌ فِي انْتِظَارِ الرَّسُولِ ﷺ حَيْثُ هُوَ بِالدَّاخِلِ يَؤُمُّ الْأَنْبِيَاءَ جَمِيعًا، يُصَلُّونَ خَلْفَهُ وَمَعَهُمْ «جِبْرِيلُ» عَلَيْهِمْ جَمِيعًا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

سَأَلَهُ «أَحْمَدُ» ثَانِيَةً :

- أَتَقْصِدُ رِحْلَةَ الْإِسْرَاءِ؟

أَجَابَ «مُحَمَّدٌ»:

- بِالضَّبْطِ.. هَذَا مَا أَعْنِيهِ.

وَهُنَا سَأَلَهُ «أَحْمَدُ» قَائِلًا:

- لَكِنْ لِمَاذَا رَسَمْتَ حَاجِزًا أَسْوَدَ حَوْلَ الْجَامِعِ؟! لِمَاذَا شَوَّهْتَ بِهِ الْمَنْظَرَ؟! لَقَدْ أَخْطَأْتَ حِينَ جَعَلْتَ اللَّوْنَ الْأَسْوَدَ يَنْتَشِرُ حَوْلَ الْجَامِعِ!

أَجَابَ «مُحَمَّدٌ» بِحُزْنٍ:

- هَذَا هُوَ الْوَاقِعُ يَا «أَحْمَدُ».. إِنَّ الْأَقْصَى أَسِيرٌ.

قَالَ «أَحْمَدُ»:

- أَعْلَمُ هَذَا يَا «مُحَمَّدُ»، أَعْلَمُ أَنَّ الْأَقْصَى أَسِيرٌ، لَكِنْ بِوُسْعِنَا أَنْ نُطْلِقَ سَرَاحَهُ، بِوُسْعِنَا أَنْ نَسْتَعِيدَ صَبَاحَهُ، إِنَّ ذَلِكَ يَبْدَأُ مِنَ الْآنَ.. أَطْلِقْ سَرَاحَ الْجَامِعِ

يَـا «مُحَمَّـدُ» بِالْأَلْـوَانِ.. امْحُ اللَّوْنَ الْأَسْـوَدَ بِالْأَبْيَـضِ.. اجْعَلْهُ حُـرًّا يَنْطَلِقُ نَحْوَ الْأَخْضَرِ، تِلْكَ هِيَ الْبِدَايَةُ لِلتَّحْرِيرِ.

هُنَا قَالَ «مُحَمَّدٌ»:

- يَـا لَكَ مِـنْ رَائِعٍ يَا «أَحْمَدُ».. لَقَدْ مَنَحَنِي اللهُ مَوْهِبَةَ الرَّسْـمِ بِالْأَلْوَانِ، وَمَنَحَكَ قُوَّةَ الْحُجَّةِ وَالْبَيَانِ.. الْآنَ سَـأُطْلِقُ سَـرَاحَهُ، الْآنَ اسْـتَعَادَ صَبَاحَهُ، بَعْدَ أَنْ ظَلَّ زَمَنًا خَلْفَ الْقُضْبَانِ.

وَرَاحَ «مُحَمَّدٌ» يُزِيلُ السَّـوَادَ، وَرَسَـمَ خَلْـفَ الْقُبَّةِ قُرْصًا لِلشَّـمْسِ وَضَّاءً، ثُمَّ عَلَّـقَ «مُحَمَّدٌ» وَ «أَحْمَدُ» اللَّوْحَةَ فِي حُجْرَةِ الِاسْـتِقْبَالِ، وَرَاحَـا يَتَأَمَّلَانِ الْأَقْصَى وَقَدْ زَالَتِ الْقُيُودُ، وَتَرَقْرَقَتْ أَعْيُنُهُمَا بِالدَّمْعِ.. وَهُمَا يُرَدِّدَانِ:

- يَا رَبِّ.

الْبَحْثُ عَنْ حِكْمَةٍ

قَالُوا إِنَّ رَجُلًا حَكِيمًا كَانَ يَعِيشُ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ قَرْيَةٍ انْتَشَرَ فِيهَا الْمَرَضُ وَالْجَهْلُ، وَالْقَرْيَةُ كُلُّهَا كَانَتْ تَبْحَثُ عَنِ الدَّوَاءِ بِالْحِكْمَةِ، وَكَانَتِ الْمَسَافَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَرْيَةِ خَمْسِينَ مِيلًا، لَكِنَّهَا فِي الصَّحْرَاءِ، وَامْتَلَأَتِ الصَّحْرَاءُ بِسَيَّارَاتِ الْقَرْيَةِ، كُلُّهَا تَمْضِي فِي اتِّجَاهِ الْمَكَانِ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ الْحَكِيمُ.

وَبَعْدَ فَتْرَةٍ قَلِيلَةٍ كَانَتِ السَّيَّارَاتُ عَائِدَةً مِنْ هُنَاكَ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْقَادِمِينَ مَعَهُ حِكْمَةٌ.. قَدْ تَكُونُ آيَةً أَوْ حَدِيثًا أَوْ حِكْمَةً أَوْ بَيْتًا مِنَ الشِّعْرِ، أَوْ حِكَايَةً فِي بِضْعِ كَلِمَاتٍ.

وَأَثْنَاءَ الْعَوْدَةِ عِنْدَ مَدْخَلِ الْقَرْيَةِ سَأَلَ أَحَدُ الْعَائِدِينَ رَجُلًا، وَقَالَ لَهُ:

- لِمَاذَا لَمْ تَأْتِ مَعَنَا يَا «عَبْدَ اللهِ»؟

كَانَ «عَبْدُ اللهِ» رَجُلًا بَسِيطًا، فَقَالَ:

- عِنْدَمَا يَأْذَنُ اللهُ.

وَلَمْ يَقُلْ لَهُ السَّائِلُ شَيْئًا أَكْثَرَ مِنْ هَذَا، وَلَمْ يَبُحْ بِحِكْمَتِهِ الَّتِي سَعَى لَهَا، لَقَدْ تَعِبَ وَشَقِيَ حَتَّى حَصَلَ عَلَيْهَا..

وَمَرَّتْ أَيَّامٌ وَشُهُورٌ وَلَمْ يَتَغَيَّرْ حَالُ الْقَرْيَةِ، بَلْ سَاءَ الْحَالُ عَنْ ذِي قَبْلُ!!

فَرَغَ «عَبْدُ اللهِ» ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحَمِدَ اللهَ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَقَرَّرَ أَنْ يَذْهَبَ وَيَرَى بِنَفْسِهِ حِكَايَةَ الْحَكِيمِ حَتَّى يَقِفَ عَلَى حَقِيقَتِهَا.. وَقَالَ:

ـ سَأَمْشِي عَلَى قَدَمَيَّ.. أُحِبُّ أَنْ أَخْلُوَ إِلَى نَفْسِي وَأَتَأَمَّلَ الْكَوْنَ مِنْ حَوْلِي.

وَمَضَى «عَبْدُ اللهِ» فِي طَرِيقِهِ.. وَانْبَلَجَ نُورُ الصَّبَاحِ، بَسَطَ كَفَّيْهِ فَصَارَ يَرَاهُمَا، وَاصَلَ السَّيْرَ، تَلَقَّفَ أَشِعَّةَ الشَّمْسِ مِنْ أَوَّلِ شُعَاعٍ، وَرَأَى مَا يَحُوطُ قُرْصَ الشَّمْسِ مِنْ جَمَالٍ، فَقَالَ:

ـ سُبْحَانَكَ رَبِّي بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

وَوَاصَلَ السَّيْرَ.. كَانَتْ حَرَارَةُ الشَّمْسِ قَدِ اشْتَدَّتْ فَأَلْهَبَتْ وَجْهَهُ، وَنَزَلَ الْعَرَقُ غَزِيرًا، لَكِنَّهُ لَمْ يَتَوَقَّفْ حَتَّى أُذِّنَ لِصَلَاةِ الظُّهْرِ..

هُوَ الَّذِي عَرَفَ بِالظِّلِّ، فَقَدِ اعْتَادَ أَنْ يَكُونَ ظِلُّهُ عَلَى الْأَرْضِ هُوَ عَقْرَبَهُ الْأَمِينَ..

صَلَّى الظُّهْرَ وَمَضَى، وَاصَلَ سَيْرَهُ مِنْ جَدِيدٍ..

وَهَا هُوَ الْآنَ أَمَامَ الْحَكِيمِ، رَبَّتَ الْحَكِيمُ عَلَى ظَهْرِ «عَبْدِاللهِ» وَقَالَ لَهُ:

ـ أَجِئْتَ سَيْرًا عَلَى الْقَدَمَيْنِ؟!

قَالَ عَبْدُ اللهِ:

- هَذَا مِنْ فَضْلِ اللهِ.. وَأُرِيدُ الْحِكْمَةَ أَيُّهَا الشَّيْخُ الْكَرِيمُ.

قَالَ الْحَكِيمُ:

- بَلْ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْتَ عَنْهَا!

- أَنَا؟

قَالَ الْحَكِيمُ:

- نَعَمْ أَنْتَ.. لَقَدْ عِشْتَ الْحِكْمَةَ حِينَ سَعَيْتَ إِلَيْهَا بِنَفْسِكَ وَسَيْرًا عَلَى قَدَمَيْكَ.. فَلَيْسَ هُنَاكَ هَدَفٌ يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِالسَّعْيِ إِلَيْهِ.. وَقَدْ سَعَيْتَ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاكَ.

قَالَ «عَبْدُ اللهِ»:

- حِكْمَةٌ أَحْتَاجُ إِلَيْهَا وَيَحْتَاجُ إِلَيْهَا أَهْلُ قَرْيَتِي، سَأُبَلِّغُهَا لَهُمْ فَوْرَ عَوْدَتِي.

قَالَ الْحَكِيمُ:

- مَا أَرْوَعَكَ! هَذِهِ هِيَ الْحِكْمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ.. لَقَدِ احْتَفَظَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ أَبْنَاءِ قَرْيَتِي بِالْحِكْمَةِ لِنَفْسِهِ وَلَمْ يَنْشُرْهَا.. فَمَاذَا تُفِيدُ الْحِكْمَةُ؟! لَكِنَّكَ لَمْ تَضِنَّ بِهَا عَلَى أَحَدٍ.. حِكْمَتُكَ بِإِذْنِ اللهِ نَافِعَةٌ لَكَ وَلَهُمْ.

وَتَصَافَحَا.. وَعَادَ «عَبْدُ اللهِ» سَعِيدًا يَشُقُّ طَرِيقَهُ وَسَطَ الصَّحْرَاءِ بِدَأَبٍ وَنَشَاطٍ.. إِنَّهُ يَحْمِلُ خَيْرًا لِأَهْلِهِ.. سَيُبَلِّغُهُمْ بِمَا كَانَ وَسَيَدْعُوهُمْ لِلْعِلَاجِ. وَالشِّفَاءُ مِنَ اللهِ وَحْدَهُ.

الثَّعْلَبُ يَشْرَحُ عَلَى الطَّبِيعَةِ

قَالَ الْأَسَدُ لِلثَّعْلَبِ:

- بَلَغَنِي أَيُّهَا الثَّعْلَبُ أَنَّكَ تَلْجَأُ لِلْمَكْرِ وَالْخِدَاعِ، إِذَا شَعَرْتَ بِالضَّيَاعِ، فَلِمَاذَا تَفْعَلُ ذَلِكَ؟

قَالَ الثَّعْلَبُ لِلْأَسَدِ:

- سَيِّدِي مَلِكَ الْغَابَةِ.. لَوْلَا الْحِيلَةُ وَالْخِدَاعُ لَانْتَهَى أَمْرِي مِنْ صِغَرِي.. لَقَدْ عَلَّمَنِي أَبِي أَوَّلَ دَرْسٍ فِي الْمَكْرِ وَأَنَا صَغِيرٌ.

قَالَ الْأَسَدُ:

- قُلْ لَنَا هَذَا الدَّرْسَ..

قَالَ الثَّعْلَبُ:

- لَنْ تَهْنَأَ بِالْحَيَاةِ وَالْجَمِيعُ حَوْلَكَ سُعَدَاءُ! فَرِّقْ بَيْنَ الْأَحِبَّاءِ! فَرِّقْ تَسُدْ يَا وَلَدِي..

قَالَ الْأَسَدُ:

- وَقَدْ نِلْتَ السِّيَادَةَ يَا ثَعْلَبُ؛ فَأَنْتَ الْآنَ تَنْعَمُ بِالْقُرْبِ مِنِّي.

قَالَ الثَّعْلَبُ:

- وَهَلْ كَانَ لِي أَنْ أَصِلَ إِلَى هَذِهِ الْمَكَانَةِ إِلَّا بِالْعَمَلِ بِنَصِيحَةِ أَبِي؟

قَالَ الْأَسَدُ وَهُوَ يَضْحَكُ:

- فَلْتَصْحَبْكُمَا اللَّعْنَةُ يَا ثَعْلَبُ.. أَكْمِلْ.

قَالَ الثَّعْلَبُ:

- وَمَاذَا تُرِيدُنِي أَنْ أَقُولَ يَا سَيِّدِي مَلِكَ الْغَابَةِ؟

قَالَ الْأَسَدُ:

- قُلْ لِي مَاذَا تَفْعَلُ.. لَوْ جَرَى خَلْفَكَ مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنْكَ.. وَأَدْرَكْتَ أَنَّكَ هَالِكٌ لَا مَحَالَةَ؟!

قَالَ الثَّعْلَبُ:

- إِنْ شِئْتَ سَيِّدِي أَرَيْتُكَ مَاذَا أَفْعَلُ.

قَالَ الْأَسَدُ:

- هَيَّا أَيُّهَا الْمُخَادِعُ الْمَكَّارُ.

قَالَ الثَّعْلَبُ:

- كُلَّمَا قُمْتُ بِحَرَكَةٍ حَدِّثُونِي مَاذَا تَعْنِي لَكُمْ.

وَهُنَا تَمَدَّدَ الثَّعْلَبُ عَلَى الْأَرْضِ، وَنَفَخَ بَطْنَهُ بِكُلِّ مَا أُوتِيَ مِنْ قُوَّةٍ، فَصَارَتْ عَالِيَةً، ثُمَّ رَفَعَ رِجْلَيْهِ وَفَتَحَ عَيْنَيْهِ!

ضَحِكَ الْأَسَدُ وَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ:

- انْظُرُوا إِنَّهُ ثَعْلَبٌ مَيِّتٌ.

وَلَمَّا كَفَّ الْجَمِيعُ عَنِ الضَّحِكِ، أَكْمَلَ الثَّعْلَبُ قَائِلًا:

- وَإِنِ اقْتَرَبَ الْعَدُوُّ مِنِّي لِيَتَأَكَّدَ، مَنَحْتُهُ عِطْرِي.

وَهُنَا أَخْرَجَ الثَّعْلَبُ رَائِحَةً كَرِيهَةً لَا تُطَاقُ، وَقَالَ:

- الْآنَ تَأَكَّدَ أَنِّي مَيِّتٌ.

سَدَّ الْجَمِيعُ أُنُوفَهُمْ، وَانْشَغَلَ آخَرُونَ بِالضَّحِكِ، أَمَّا الْأَسَدُ فَقَدْ قَالَ:

- بَاعِدُوا عَنِّي هَذَا الْحَيَوَانَ، وَإِنْ أَرَدْتُهُ اسْتَدْعَيْتُهُ.

فَفَرَّ الثَّعْلَبُ مُسْرِعًا بَعِيدًا عَنْ مَكَانِ الْأَسَدِ.

الْحُلْمُ الَّذِي صَارَ

لَا يَتَذَكَّرُ «أَحْمَدُ» مَتَى أَحَبَّ كِتَابَةَ الْقِصَّةِ بِالضَّبْطِ. هَلْ كَانَتِ الْبِدَايَةُ حِينَ عَرَفَ مِنْ مُعَلِّمِهِ أَنَّ الْقِصَّةَ مَوْقِفٌ؟ لَقَدْ عَادَ يَوْمَهَا إِلَى الْبَيْتِ وَرَاحَ يَكْتُبُ مَوْقِفًا حَدَثَ مَعَهُ.

كَانَ يَمْشِي ذَاتَ مَرَّةٍ حِينَ رَأَى رَجُلًا ضَرِيرًا يَقِفُ عَلَى الرَّصِيفِ يُرِيدُ أَنْ يَعْبُرَ إِلَى الرَّصِيفِ الْآخَرِ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ وَعَبَرَ بِهِ إِلَى النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى، وَحِينَمَا حَكَى لِمُعَلِّمِهِ عَنْ هَذَا الْمَوْقِفِ قَالَ لَهُ:

- إِنَّهَا قِصَّةٌ.. مَا بَيْنَ الرَّصِيفِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي تَكُونُ الْقِصَّةُ.. يُمْكِنُ اعْتِبَارُ الرَّصِيفِ الْأَوَّلِ هُوَ الْبِدَايَةَ.. وَالشَّارِعِ هُوَ وَسَطَ الْحِكَايَةِ حَيْثُ تَكُونُ الْأَحْدَاثُ وَيَكُونُ الْعُمْقُ.. وَالرَّصِيفُ الثَّانِي بِالْوُصُولِ إِلَيْهِ تَنْتَهِي الْقِصَّةُ.

كَتَبَ «أَحْمَدُ» الْقِصَّةَ وَنَالَتْ إِعْجَابَ الْمُعَلِّمِ، بَلْ نَالَتْ إِعْجَابَ كُلِّ مَنْ قَرَأَهَا، حَتَّى جَاءَ يَوْمٌ آخَرُ وَقَالَ الْمُعَلِّمُ:

- وَالْقِصَّةُ أَشْبَهُ بِالْحُلْمِ، لَحْظَةٌ خَاطِفَةٌ تَنْتَهِي بِالْيَقَظَةِ.

تَذَكَّرَ «أَحْمَدُ» أَنَّهُ يَرَى أَحْلَامًا كَثِيرَةً جَمِيلَةً وَكُلُّهَا خَاطِفَةٌ، لَكِنَّهُ يَنْسَاهَا بَعْدَ لَحَظَاتٍ مِنِ انْتِبَاهِهِ. قَالَ «أَحْمَدُ» لِنَفْسِهِ:

- يَجِبُ أَنْ أَتَذَكَّرَ الْحُلْمَ.

ذَاتَ مَـرَّةٍ صَعِـدَ عَالِيًا، وَطَارَ مِثْـلَ الطَّائِـرَةِ، وَرَأَى الْبُيُوتَ فِي الْأَسْـفَلِ غَارِقَةً بِـرُؤُوسِ النَّخِيلِ، وَبَعْدَ صُعُودِهِ رَاحَ يَتَسَـاءَلُ: كَيْفَ يُمْكِنُ الْعَـوْدَةُ إِلَى الْأَرْضِ؟ وَجَاءَتْهُ فِكْرَةٌ «مَا هَذِهِ الْفِكْرَةُ؟!».

لَا يَذْكُرُهَا «أَحْمَدُ»، لَقَدْ نَسِيَ أَنْ يُسَجِّلَ حُلْمَهُ، مَـعَ أَنَّـهُ وَضَـعَ وَرَقَةً وَقَلَمًـا تَحْتَ وِسَـادَتِهِ؛ حَتَّـى يُسَـجِّلَ حُلْمَـهُ عِنْدَمَـا يَسْـتَيْقِظُ! حَكَـى «أَحْمَـدُ» لِمُعَلِّمِهِ، فَقَالَ لَهُ:

ـ مَا رَأَيْتَهُ يَبْـدُو رَائِعًا.. لَكِنْ لَا تَنْتَظِرِ الْفِكْرَةَ الَّتِي جَاءَتْ فِي الْحُلْـمِ.. اخْـرُجْ مِـنَ الْحُلْـمِ يَـا «أَحْمَـدُ».. وَفَكِّرْ أَوِ انْطَلِقْ مِـنْ جَدِيدٍ لِأَعْلَى.. وَابْـدَأْ قِصَّـةً أُخْـرَى.. وَيُمْكِـنُ أَنْ تَكُـونَ النِّهَايَـةُ بَعْـدَ أَنْ تَنْتَبِـهَ.. قَدْ تَرَى شَـيْئًا فِي الْيَقَظَةِ يَجْعَلُ لِلْحُلْمِ فَائِدَةً أَكْبَرَ.

فَكَّرَ «أَحْمَدُ» وَفَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ:

ـ الْقِصَّةُ بَحْرٌ زَاخِرٌ وَأَشْكَالُهَا عَدِيدَةٌ.. وَالْمُهِمُّ أَنْ تَكْتُبَ.

مِنْ يَوْمِهَا وَ «أَحْمَدُ» لَا يَكُفُّ عَنِ الْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَةِ. مُنْذُ أَيَّامٍ فُوجِئْتُ بِاسْمِ «أَحْمَدَ» يَتَصَدَّرُ عُنْوَانًا لِأَحَدِ الْمَقَالَاتِ الْأَدَبِيَّةِ الَّتِي تُشِيدُ بِإِبْدَاعِهِ، فَتَذَكَّرْتُ سَنَوَاتٍ عَدِيدَةً مَرَّتْ مِنَ الْعُمْرِ، وَقُلْتُ:

ـ مَا أَجْمَلَ أَنْ يَتَحَقَّقَ الْحُلْمُ!

الْخَبَرُ السَّعِيدُ

قَالَتِ الزَّرَافَةُ لِلْأَسَدِ الْجَبَّارِ:

- يَا أَسَدُ.. يَا مَلِكَ الْغَابَةِ أَنْتَ تَعْتَدِي عَلَيْنَا كُلَّ يَوْمٍ، وَالْحَيَوَانَاتُ صَارَتْ تَضِيقُ مِنْكَ.

قَالَ الْأَسَدُ:

- أَنَا الْمَلِكُ.. أَنَا الْأَسَدُ الْجَبَّارُ.

قَالَتِ الزَّرَافَةُ:

- لَكِنَّنَا إِخْوَةٌ، وَنُشْبِهُ بَعْضَنَا فِي حَاجَاتٍ كَثِيرَةٍ.

تَعَجَّبَ الْأَسَدُ مِنْ كَلَامِ الزَّرَافَةِ، ثُمَّ ضَحِكَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ وَقَالَ:

- قُولِي يَا زَرَافَةُ تُشْبِهُونَنِي فِي مَاذَا؟

قَالَتِ الزَّرَافَةُ:

- نَحْنُ جَمِيعًا حَيَوَانَاتٌ.. أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

سَكَتَ الْأَسَدُ قَلِيلًا، ثُمَّ قَالَ:

- هَذَا صَحِيحٌ نَحْنُ جَمِيعًا حَيَوَانَاتٌ.. هَلْ هُنَاكَ شَبَهٌ آخَرُ؟

قَالَتِ الزَّرَافَةُ:

- وَنَمْشِي جَمِيعًا عَلَى أَرْبَعِ أَرْجُلٍ.

قَالَ الْأَسَدُ:

- هَذَا صَحِيحٌ.. نَمْشِي جَمِيعًا عَلَى أَرْبَعِ أَرْجُلٍ.. ثُمَّ مَاذَا يَا زَرَافَةُ؟

قَالَتِ الزَّرَافَةُ:

- وَكُلُّ حَيَوَانٍ لَهُ ذَيْلٌ.. أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

قَالَ الْأَسَدُ:

- هَذَا صَحِيحٌ.

قَالَتِ الزَّرَافَةُ:

- وَنَتَشَابَهُ فِي أَشْيَاءَ أُخْرَى.

زَأَرَ الْأَسَدُ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ:

- نَعَمْ نَتَشَابَهُ فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ يَا زَرَافَةُ.. لَكِنَّنِي أَخْتَلِفُ عَنْكُمْ فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ؛ أَنَا الْأَسَدُ الْقَوِيُّ الْمُفْتَرِسُ أَغْلِبُ كُلَّ الْحَيَوَانَاتِ.. وَأَجْرِي بِسُرْعَةِ الْقِطَارِ السَّرِيعِ.

ضَحِكَتِ الزَّرَافَةُ وَقَالَتْ:

- وَأَنَا أَخْتَلِفُ عَنْكَ فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ يَا أَسَدُ.. أَنَا أَطْوَلُ مِنْكَ.. وَلِي رَقَبَةٌ طَوِيلَةٌ.. هَلْ تَمْلِكُ مِثْلَهَا؟ وَعَلَى ظَهْرِي أَلْوَانٌ جَمِيلَةٌ، وَالثَّعْلَبُ لَهُ ذَيْلٌ جَمِيلٌ، وَالْغَزَالَةُ سَرِيعَةٌ جِدًّا، وَالْفِيلُ أَضْخَمُ مِنْكَ، وَالْقِرْدُ يَقْفِزُ عَلَى الشَّجَرَةِ وَأَنْتَ لَا تَقْدِرُ.. الْأَحْسَنُ أَنْ نَتَكَلَّمَ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي نَتَشَابَهُ فِيهَا وَنُحِبَّ بَعْضَنَا.. وَأَنْتَ الْمَلِكُ.. وَنُرِيدُ مِنْكَ أَنْ تَكُونَ عَادِلًا.

قَالَ الْأَسَدُ:

- صَدَقْتِ يَا زَرَافَةُ.. مِنَ الْيَوْمِ سَيَكُونُ الْعَدْلُ فِي غَابَتِنَا إِنْ شَاءَ اللهُ.

فَرِحَتِ الزَّرَافَةُ وَذَهَبَتْ إِلَى الْحَيَوَانَاتِ؛ كَيْ تُبَشِّرَهَا بِالْخَبَرِ السَّعِيدِ.

الدُّكْتُورُ «حُسَامٌ» وَالْفِكْرَةُ التَّمَامُ

الدُّكْتُورُ «حُسَامٌ» لَا يَتَأَخَّرُ عَنْ أَيَّةِ دَعْوَةٍ تُوَجَّهُ إِلَيْهِ؛ فَهُوَ فِي خِدْمَةِ الْبِيئَةِ دَائِمًا، وَسَوْفَ يَكُونُ سَعِيدًا عِنْدَمَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ عَنْهَا، وَعِنْدَمَا دَعَتْهُ إِدَارَةُ قَصْرِ الثَّقَافَةِ لِإِلْقَاءِ مُحَاضَرَةٍ، لَبَّى النِّدَاءَ عَلَى الْفَوْرِ.

وَصَلَ إِلَى حَدِيقَةِ الْقَصْرِ، وَأَدْهَشَهُ وُجُودُ حَشْدٍ كَبِيرٍ مِنَ الْأَطْفَالِ، هَذِهِ الْمَرَّةُ سَيَكُونُ حَدِيثُهُ مُوَجَّهًا لِلطِّفْلِ، كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَجْذِبَ الْأَطْفَالَ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْلِسُونَ فِي حَدِيقَةِ الْقَصْرِ وَحَوْلَهُمُ الْأَزَاهِيرُ الْكَثِيرَةُ وَالْأَشْجَارُ الْعَالِيَةُ الَّتِي تَتَدَلَّى مِنْهَا ثَمَرَاتُ الْبُرْتُقَالِ؟!

وَرَاحَ الدُّكْتُورُ «حُسَامٌ» يُفَكِّرُ وَهُوَ يُتَابِعُ الْأَطْفَالَ وَهُمْ يَجْرُونَ خَلْفَ بَعْضِهِمْ، وَتَعْلُو أَصْوَاتُهُمْ هُنَا وَهُنَاكَ. وَلَمْ يَطُلْ تَفْكِيرُ الدُّكْتُورِ «حُسَامٍ»؛ فَقَدْ أَخْرَجَ هَاتِفَهُ وَطَلَبَ مِنْ أُسْرَتِهِ أَنْ يُبَادِرُوا بِإِرْسَالِ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْقِصَصِ الْمُشَوِّقَةِ الْمَوْجُودَةِ لَدَيْهِ فِي الْمَكْتَبَةِ وَجَمِيعُهَا يَتَحَدَّثُ عَنِ الْبِيئَةِ..

وَصَلَتِ الْقِصَصُ بَعْدَ وَقْتٍ قَلِيلٍ.. وَضَعَهَا الدُّكْتُورُ «حُسَامٌ» أَمَامَهُ، وَبَدَأَ حَدِيثَهُ «بِاسْمِ اللهِ».. وَتَحَدَّثَ عَنْ جَمَالِ الْبِيئَةِ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَجْلِسُونَ فِيهِ، وَقَالَ:

- انْظُرُوا فَوْقَكُمْ.. مَا أَجْمَلَ الْأَشْجَارَ الَّتِي تُظَلِّلُكُمْ! وَانْظُرُوا تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ.. مَا أَجْمَلَ الْمَكَانَ وَهُوَ نَظِيفٌ! ثُمَّ انْظُرُوا لِتِلْكَ اللُّعَبِ.. إِنَّهَا جَمِيلَةٌ وَتَجْعَلُ الْإِنْسَانَ يَسْتَمْتِعُ بِهَا وَيَفْرَحُ. وَبَعْدَهَا يَنْظُرُ حَوْلَهُ بِاسْتِمْتَاعٍ.

كَانَتِ الْمُقَدِّمَةُ رَائِعَةً.. لَكِنَّ الرَّائِعَ أَكْثَرَ أَنَّ الدُّكْتُورَ «حُسَامًا» سَأَلَ عَنْ مَعْنَى الْبِيئَةِ، فَأَجَابَ وَلَدٌ جَالِسٌ:

- هِيَ كُلُّ مَا يُحِيطُ بِنَا مِنْ مَكَانٍ وَجَمَادٍ وَحَيَوَانٍ.

قَالَ لَهُ الدُّكْتُورُ «حُسَامٌ»:

- إِذَنْ أَنْتَ تَكْسِبُ الْجَائِزَةَ.

وَأَعْطَى الْوَلَدَ الْفَائِزَ إِحْدَى الْقِصَصِ، وَرَاحَ الدُّكْتُورُ «حُسَامٌ» يُكْمِلُ حَدِيثَهُ عَنْ مَعْنَى الْبِيئَةِ، وَالْكُلُّ صَامِتٌ مُنْصِتٌ فِي اهْتِمَامٍ، وَانْتَظَرَ الْأَطْفَالُ أَسْئِلَةً أُخْرَى يَأْخُذُونَ بِهَا جَوَائِزَ أُخْرَى، وَرَاحَ الدُّكْتُورُ «حُسَامٌ» يَسْأَلُ وَيُعْطِي مَنْ أَجَابَ قِصَّةً جَدِيدَةً، ثُمَّ يُضِيفُ لِلْإِجَابَةِ أَوْ يُصَحِّحُ الْخَطَأَ الَّذِي يُثَارُ، لَكِنَّهُ لَا يَبْخَلُ عَلَى الْمُجْتَهِدِ بِقِصَّةٍ أَيْضًا.

وَفِي نِهَايَةِ اللِّقَاءِ عَرَفَ الْأَوْلَادُ الْكَثِيرَ عَنِ الْبِيئَةِ..

وَعَادُوا بِقِصَصٍ جَمِيلَةٍ، وَهُمْ دَوْمًا مِنْ آنٍ لِآخَرَ يَمُرُّونَ عَلَى مَكَانِ اللِّقَاءِ، وَيَنْظُرُونَ إِلَى الْأَشْجَارِ الْخَضْرَاءِ فَوْقَهُمْ، وَنَظَافَةِ الْأَرْضِ تَحْتَ أَقْدَامِهِمْ، وَالْأَرَاجِيحِ وَهِيَ تَعْلُو وَتَهْبِطُ، فَيَتَذَكَّرُونَ لَحَظَاتٍ جَمِيلَةً رَائِعَةً، وَلِسَانُ حَالِ الْجَمِيعِ يَقُولُ:

- مَتَى يَأْتِي الدُّكْتُورُ «حُسَامٌ»؟

الشَّجَرَةُ وَقِطْعَةُ الثَّلْجِ

مَرَّتْ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ وَلَمْ تُشْرِقِ الشَّمْسُ عَلَى قِمَّةِ الْجَبَلِ، كَانَتِ الشَّجَرَةُ الصَّغِيرَةُ فَوْقَ الْقِمَّةِ مَا زَالَتْ تَتَرَقَّبُ عَوْدَةَ الشَّمْسِ وَتَتَعَطَّشُ لِلْمَاءِ، قَالَتِ الشَّجَرَةُ الصَّغِيرَةُ تُخَاطِبُ الشَّمْسَ:

- يَا شَمْسُ يَا شَمُّوسَةُ.. مَتَى تَأْتِي أَشِعَّتُكِ وَتَغْمُرُنِي بِالدِّفْءِ؟

وَمَا إِنْ أَنْهَتْ حَدِيثَهَا حَتَّى لَمَحَتْ قِطْعَةَ ثَلْجٍ كَبِيرَةً بِجِوَارِهَا، خَجِلَتِ الشَّجَرَةُ الصَّغِيرَةُ مِنْ نَفْسِهَا عِنْدَمَا رَأَتْ قِطْعَةَ الثَّلْجِ؛ إِذْ كَيْفَ لَهَا أَنْ تَطْلُبَ الشَّمْسَ لِنَفْسِهَا، وَهِيَ تَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ فِي صَالِحِ قِطْعَةِ الثَّلْجِ؟!

وَسَكَتَتْ قَلِيلًا ثُمَّ قَالَتْ لِنَفْسِهَا:

- غَمَرَتِ الْأَمْطَارُ الْجَبَلَ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ الثَّلْجُ، وَلِأَنَّنِي فِي مَكَانٍ تُحَاصِرُهُ أَحْجَارٌ ثَقِيلَةٌ فَلَمْ يَصِلِ الْمَاءُ إِلَيَّ، وَأَشْعُرُ بِالْبَرْدِ كَمَا أَشْعُرُ بِالْعَطَشِ، وَأَحْتَاجُ لِلشَّمْسِ وَالْمَاءِ.. وَأَشْعُرُ الْآنَ بِخَجَلٍ لِأَنَّنِي نَسِيتُ أَنَّ قِطْعَةَ الثَّلْجِ كَانَتْ بِجِوَارِي وَسَمِعَتْنِي وَأَنَا أُحَدِّثُ الشَّمْسَ.

بَدَتِ السَّمَاءُ مُلَبَّدَةً بِالْغُيُومِ، وَسَادَ الصَّمْتُ لِفَتْرَةٍ، وَفِي هَذِهِ الْمَرَّةِ سَمِعَتِ الشَّجَرَةُ صَوْتَ قِطْعَةِ الثَّلْجِ وَهِيَ تَقُولُ:

- يَا أُخْتِي.. يَا شَجَرَتِي الصَّغِيرَةَ هَوِّنِي عَلَيْكِ.. وَاطْلُبِي الشَّمْسَ فَإِنَّهَا حُلْوَةٌ لِلْجَمِيعِ!

ـ نَظَرَتْ إِلَيْهَا الشَّجَرَةُ الصَّغِيرَةُ فِي عَجَبٍ وَقَالَتْ:

ـ كَيْفَ يَا أُخْتَاهُ؟!

قَالَتْ قِطْعَةُ الثَّلْجِ:

ـ صَحِيحٌ أَنَّنِي الْآنَ قِطْعَةٌ سَلِيمَةٌ، لَكِنَّنِي حَتْمًا سَأَذُوبُ عِنْدَمَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ.. وَمِنْ حُسْنِ حَظِّي أَنْ يَكُونَ لِذَوَبَانِي فَائِدَةٌ أَنْ أَتَحَوَّلَ إِلَى مَاءٍ يَسْقِيكِ.. أَلَيْسَ أَفْضَلَ مِنَ الذَّوَبَانِ بَعِيدًا عَنْكِ؟ لَيْتَ الشَّمْسَ تُشْرِقُ قَبْلَ أَنْ تَدْفَعَنِي الرِّيحُ بَعِيدًا.. ثُمَّ إِنَّنِي مِثْلُكِ أُحِبُّ الشَّمْسَ، وَأَشْعُرُ بِدِفْئِهَا عِنْدَمَا تُشْرِقُ.

شَكَرَتِ الشَّجَرَةُ الصَّغِيرَةُ قِطْعَةَ الثَّلْجِ كَثِيرًا، وَتَرَقَّبَا مَعًا عَوْدَةَ الشَّمْسِ، وَلَمْ يَطُلِ انْتِظَارُهُمَا، عَادَتِ الشَّمْسُ وَسَلَّطَتْ شُعَاعَهَا نَحْوَ الشَّجَرَةِ وَقِطْعَةِ الثَّلْجِ الَّتِي شَعَرَتْ بِالدِّفْءِ، وَذَابَتْ حُبًّا وَفَرَحًا، وَبَدَأَ مَاؤُهَا يَسِيلُ وَيَتَدَفَّقُ تِجَاهَ الشَّجَرَةِ وَهِيَ فَرْحَانَةٌ تَقُولُ:

ـ أَنَا آتِيَةٌ إِلَيْكِ أَيَّتُهَا الشَّجَرَةُ؛ كَيْ تَشْرَبِي وَتَقَرِّي عَيْنًا وَتَكْبُرِي، وَتَقْتَرِبِي أَكْثَرَ مِنْ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ الْقَادِمَةِ.

رَدَّتِ الشَّجَرَةُ الصَّغِيرَةُ:

ـ مَرْحَبًا بِكِ يَا قِطْعَةَ الثَّلْجِ.. أَقْصِدُ يَا قِطْعَةً مِنِّي.. بِكِ سَأَكْبُرُ أَيَّتُهَا الْجَمِيلَةُ.

أَمَّا الشَّمْسُ فَكَانَتْ تُتَابِعُ الْمَشْهَدَ الْجَمِيلَ فِي فَرَحٍ وَسَعَادَةٍ.

الْعَمُّ «إِسْمَاعِيلُ»

لَسْتُ وَحْدِي الَّذِي بَكَيْتُ لِفِرَاقِهِ، بَلْ جَمِيعُ مَنْ فِي الْقَرْيَةِ، رِجَالًا وَنِسَاءً وَأَطْفَالًا، وَحَزِنَتِ الطُّرُقُ الَّتِي قَطَعَهَا مِنْ أَجْلِ الْخَيْرِ، وَالْقَنَوَاتُ الَّتِي شَقَّهَا بِيَدَيْهِ لِيَسْقِيَ الزَّرْعَ، وَالْأَشْجَارُ الَّتِي هَذَّبَ فُرُوعَهَا لِتَعْلُوَ وَتَسْتَقِيمَ.

خَطَبَ فِينَا إِمَامُ الْجَامِعِ قَائِلًا:

- كَفَاكُمْ حُزْنًا يَا أَهْلَ قَرْيَتِي.. إِنَّ الْعَيْنَ لَتَدْمَعُ.. وَإِنَّ الْقَلْبَ لَيَحْزَنُ.. وَإِنَّا لِفِرَاقِكَ يَا عَمُّ «إِسْمَاعِيلَ» لَمَحْزُونُونَ.. لَكِنْ، لَا بُدَّ أَنْ نَخْرُجَ مِنَ الْحُزْنِ لِلْعَمَلِ، وَمِنَ الْيَأْسِ لِلْأَمَلِ.

كَانَ الْعَمُّ «إِسْمَاعِيلُ» كُلَّمَا ارْتَفَعَ النِّدَاءُ لِلصَّلَاةِ، أَوْسَعَ الْخُطَى نَحْوَ الْمَسْجِدِ، أَوْسَعَهَا حَتَّى يُخَيَّلَ إِلَيْكَ أَنَّ هُنَاكَ قُوَّةً تَشُدُّهُ لِلْبَعِيدِ.. كَانَ يَبْدُو بَرِيئًا، مُضِيئًا، رَائِعًا، وَكَانَتْ لَهُ نَقْرَةٌ عَلَى الْأَبْوَابِ، تَنْبَعِثُ فِي فَضَاءِ الْفَجْرِ، فَتُوقِظُ النَّائِمِينَ الْغَافِلِينَ:

- الصَّلَاةَ يَا مُؤْمِنِينَ.. الصَّلَاةَ يَا مُؤْمِنِينَ

«إِسْمَاعِيلُ» النِّزَاعَ، وَمَرَّةً ظَلَمَ أَحَدُهُمْ أَخَاهُ، وَوَقَفَ الْعَمُّ «إِسْمَاعِيلُ» كَالْجَبَلِ الشَّامِخِ يُقَوِّمُ الْمُعْوَجَّ، وَيَرُدُّ الْحَقَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ، وَمَرَّةً أَنْهَى مُشْكِلَةً بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ؛ كَانُوا فِي الشَّارِعِ يَتَعَارَكُونَ، وَكَانَ الْحُبُّ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ.

تَوَضَّأَ الْعَمُّ «إِسْمَاعِيلُ» وَخَرَجَ، وَعِنْدَمَا رَآهُ الْجَمِيعُ سَكَتُوا.

صَاحَ الْعَمُّ «إِسْمَاعِيلُ» وَقَالَ:

- اللهُ.

وَرَدَّدَ الْجَمِيعُ فِي صَوْتٍ وَاحِدٍ:

- لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

وَأَصَابَ الْخَجَلُ الْجَمِيعَ، وَأَلْقَى كُلُّ وَاحِدٍ عَصَاهُ، وَتَوَارَى الْغَاضِبُونَ خَلْفَ بَعْضِهِمْ، وَأَمَرَهُمُ الْعَمُّ «إِسْمَاعِيلُ» بِالْوُضُوءِ، وَالْخُرُوجِ لِلصَّلَاةِ.

وَكَانَ الْعَمُّ «إِسْمَاعِيلُ» كُلَّمَا رَأَى الْخُضْرَةَ وَالْأَرْضَ الْمُمْتَدَّةَ الرَّائِعَةَ، قَالَ:

- الْحَمْدُ للهِ.

قَالَ إِمَامُ الْجَامِعِ:

- رَحِمَكَ اللهُ يَا عَمُّ «إِسْمَاعِيلَ». عَلَيْنَا أَنْ نَفْعَلَ ذَلِكَ، بَدَلًا مِنَ الْبُكَاءِ، وَأَنْ يَخْرُجَ مِنَّا أَلْفُ «إِسْمَاعِيلَ».

اللَّافِتَةُ الْعَجِيبَةُ

الشَّارِعُ الَّذِي يُؤَدِّي لِمَدْرَسَةِ «مُحَمَّدٍ» يَكْتَظُّ بِالتَّلَامِيذِ، وَوَاجِهَاتُ الْمَنَازِلِ فِي الشَّارِعِ هِيَ الْأُخْرَى تَكْتَظُّ بِاللَّافِتَاتِ الِانْتِخَابِيَّةِ.

«عَبْدُ الْبَرِّ مَحْمُودٍ لِعُضْوِيَّةِ الْمَجْلِسِ».

«انْتَخِبُوا رَجُلَ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ سَعْدَ الدِّينِ رَمَضَانَ».

«صَوْتُكَ أَمَانَةٌ أَعْطِهِ لِمَنْ يَسْتَحِقُّ: حَسَن السَّعْدِ».

وَلَافِتَاتٌ وَلَافِتَاتٌ.. يَحْرِصُ «مُحَمَّدٌ» عَلَى قِرَاءَتِهَا مَعَ رِفَاقِهِ، حَفِظُوا بَعْضَهَا.. لَكِنَّ لَافِتَةً تَعْلُو فَوْقَ إِحْدَى الْبِنَايَاتِ شَدَّتْ مِنْهُمُ الْأَبْصَارَ، كَانَتِ اللَّافِتَةُ تَقُولُ: «لَا تَنْتَخِبُوا عَلِي سَعْدُون». وَالْمُنَاشَدَةُ وَالتَّوْقِيعُ: «عَلِي سَعْدُون».

ضَحِكَ «مُحَمَّدٌ» وَرِفَاقُهُ عَلَى اللَّافِتَةِ الْعَجِيبَةِ، وَقَالَ:

- يَا لَهُ مِنْ فِعْلٍ عَجِيبٍ.

وَقَالَ آخَرُ:

- وَلِمَاذَا تَقَدَّمَ لِلتَّرْشِيحِ إِذَنْ؟

وَقَالَ «حَامِدٌ»:

- يَبْدُو أَنَّهُ غَبِيٌّ.

وَقَالَ «سَعْدٌ»:

- رُبَّمَا كَانَ ذَكِيًّا.

وَسَأَلَ «مُحَمَّدٌ»:

- وَلِمَاذَا يَكُونُ ذَكِيًّا؟

عبد البر محمود
لعضوية المجلس
انتخبوا رجل البر والإحسان
سعد الدين رمضان
صوتك أمانة
حسن السعيد

قَالَ «سَعْدٌ»:

- أَلَمْ تُدْهِشْنَا اللَّافِتَةُ.. أَلَمْ تَحْظَ بِمُشَاهَدَةٍ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهَا.. أَلَمْ تُصْبِحْ مِحْوَرًا لِلنِّقَاشِ؟! إِنَّهَا لُعْبَةٌ ذَكِيَّةٌ!

قَالَ «مُحَمَّدٌ»:

- لَا بُدَّ أَنَّ الْأَمْرَ غَيْرُ ذَلِكَ.. صَحِيحٌ أَنَّ اللَّافِتَةَ حَقَّقَتِ الدَّهْشَةَ وَصَارَتْ مِحْوَرًا لِلنِّقَاشِ، لَكِنْ لَا فَائِدَةَ لَهَا.. عِنْدَ صُنْدُوقِ الِانْتِخَابِ سَتَكُونُ الْغَلَبَةُ لِمِيزَانِ الضَّمِيرِ.

قَالَ الْجَمِيعُ:

- هَذَا صَحِيحٌ.. صَدَقْتَ يَا «مُحَمَّدُ».

وَهُنَا فُوجِئَ الْجَمِيعُ بِأَحَدِ التَّلَامِيذِ يَقُولُ:

- تَابَعْتُ نِقَاشَكُمْ وَنَحْنُ فِي الطَّرِيقِ، وَعِنْدِي حَلٌّ جَمِيلٌ.. لِمَاذَا لَا نَسْأَلُ «عَلِي سَعْدُون» نَفْسَهُ؟!

صَاحَ الْجَمِيعُ:

- وَكَيْفَ نَصِلُ إِلَيْهِ؟

قَالَ التِّلْمِيذُ مُبْتَسِمًا:

- دَعُوا لِي هَذِهِ الْمُهِمَّةَ. إِنَّهُ أَبِي.

أَصَابَتْنَا حَالَةٌ مِنَ الْوُجُومِ؛ فَقَدْ كُنَّا نُنَاقِشُ أَمْرَ الرَّجُلِ بِجُرْأَةٍ وَصَلَتْ إِلَى حَدِّ أَنْ يَصِفَهُ أَحَدُنَا بِالْغَبَاءِ.. وَأَدْرَكْنَا كَمْ أَخْطَأْنَا، لَكِنَّ صَدِيقَنَا كَانَ كَرِيمًا وَأَصَرَّ أَنْ نَصْحَبَهُ بَعْدَ انْتِهَاءِ الْيَوْمِ الدِّرَاسِيِّ.

فِي الْمَنْزِلِ كَانَ أَبُوهُ أَكْثَرَ كَرَمًا مِنْ وَلَدِهِ، فَقَدْ أَكْرَمَ ضِيَافَتَنَا وَقَالَ:

- فَكَّرْتُ ذَاتَ مَرَّةٍ فِي تَرْشِيحِ نَفْسِي.. أَدْرَكْتُ بَعْدَهَا أَنَّنِي لَا أَصْلُحُ، وَلَمَّا خِفْتُ أَنْ تَتَكَرَّرَ هَذِهِ اللَّحْظَةُ، فَقَدْ صَنَعْتُ هَذِهِ اللَّافِتَاتِ حَتَّى تَرُدَّنِي عَنْ هَذَا التَّفْكِيرِ، فَكَيْفَ يُرَشِّحُ وَاحِدٌ نَفْسَهُ طَالَبَ النَّاسَ بِعَدَمِ انْتِخَابِهِ؟!

وَاكْتَشَفْنَا شَجَاعَتَهُ وَحُبَّهُ، وَاكْتَشَفَ أَحَدُنَا ثَقَافَتَهُ الشَّامِلَةَ، وَفِي الطَّرِيقِ أَكَّدَ صَدِيقُنَا «حَامِدٌ» أَنَّ الرَّجُلَ جَدِيرٌ بِعُضْوِيَّةِ الْمَجْلِسِ، بَلْ تَمَنَّى أَنْ يَكُونَ الْآخَرُونَ مِثْلَهُ.

الْهَدَفُ الْبَاطِلُ

كَانَ «عَمْرٌو» قَدْ فَرَغَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَكَانَ الْمَاءُ يَتَسَاقَطُ مِنْ رَأْسِهِ وَهُوَ يَتَّجِهُ إِلَى صَحْنِ الْجَامِعِ، لَقَدْ تَأَخَّرَ عَلَى غَيْرِ عَادَتِهِ الْيَوْمَ عَنْ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ، فَاتَتْهُ رَكْعَتَانِ سَيَسْتَكْمِلُهُمَا بَعْدَ السَّلَامِ..

كَيْفَ طَاوَعَهُ قَلْبُهُ عَلَى هَذَا التَّأْخِيرِ؟! لَقَدْ خَرَجَ مِنَ الْمَنْزِلِ مُتَأَخِّرًا بِضْعَ دَقَائِقَ، كَانَ الْأَذَانُ يَتَرَدَّدُ حَوْلَهُ وَهُوَ يَمْضِي فِي الشَّارِعِ، التَّكْبِيرَاتُ تَنْسَابُ فِي السَّمَاءِ.. رَفَعَ رَأْسَهُ كَانَتِ الطُّيُورُ تُحَلِّقُ.. تُرَفْرِفُ بِأَجْنِحَتِهَا كَأَنَّهَا تُرَدِّدُ خَلْفَ الْمُؤَذِّنِ:

(((اللهُ أَكْبَرُ.. اللهُ أَكْبَرُ)))

أَحَسَّ كَأَنَّ الطُّيُورَ الْمُحَلِّقَةَ تَتَّجِهُ نَحْوَ قُبَّةِ الْجَامِعِ، شُعُورٌ يَغْمُرُهُ بِالْغِبْطَةِ وَالْفَرْحَةِ حِينَ يُصْبِحُ الْجَامِعُ وِجْهَتَهُ، فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ كَانَ الْأَمْرُ مُخْتَلِفًا عِنْدَمَا سَمِعَ مَنْ يُحَاوِلُ أَنْ يُذَكِّرَهُ بِشَيْءٍ:

ـ أَمَا زِلْتَ تَتَذَكَّرُ الْهَزِيمَةَ يَا «عَمْرُو»؟

قَالَ لَهُ زَمِيلُهُ فِي الْمَدْرَسَةِ وَالَّذِي قَابَلَهُ فِي الطَّرِيقِ وَهُوَ قَلَّمَا يُصَلِّي، كَانَ السُّؤَالُ كَافِيًا لِإِثَارَةِ الْغَيْظِ فِي نَفْسِ «عَمْرٍو»، ضَاقَ كَثِيرًا وَهُوَ يَرُدُّ فِي غَضَبٍ وَصَوْتٍ عَالٍ لَمْ يَعْتَدْهُ خَاصَّةً عِنْدَمَا يَكُونُ فِي الشَّارِعِ:

ـ أَنْتَ تَعْرِفُ أَنَّ هَدَفَكَ بَاطِلٌ؛ لَقَدْ جَاءَ نَتِيجَةَ تَسَلُّلٍ وَاضِحٍ.

قَالَ زَمِيلُهُ:

ـ لَيْسَ تَسَلُّلًا إِنَّهُ جَاءَ بِذَكَاءٍ أَيُّهَا الْمَغْلُوبُ.. اعْتَرِفْ بِهَزِيمَتِكَ.

ضَـاقَ «عَمْـرٌو» أَكْثَـرَ، وَقَالَ فِي نَفْسِـهِ: كَيْفَ أَعْتَـرِفُ بِهَزِيمَتِـي وَأَتْرُكُهُ هَكَذَا وَأَمْضِي؟! لَا بُدَّ أَنْ يَفْهَمَ هُوَ أَنَّهُ الْمَغْلُوبُ.

ثُمَّ ارْتَفَعَ صَوْتُ «عَمْرٍو» أَكْثَرَ وَهُوَ يَقُولُ:

- أَأَنْتَ الَّذِي يَغْلِبُنِي.. هَلْ نَسِيتَ؟! لَقَدْ هَزَمْنَا فَرِيقَكُمْ عِدَّةَ مَرَّاتٍ.

سَـكَتَ صَوْتُ الْمُـؤَذِّنِ، وَاخْتَفَـتِ التَّكْبِيرَاتُ مِنَ السَّـمَاءِ، وَالطُّيُـورُ الْفَارِدَةُ أَجْنِحَتَهَا تَلَاشَـتْ تَمَامًا كَأَنَّهَا ذَهَبَتْ هِيَ الْأُخْرَى لِلصَّلَاةِ، وَلَمْ يَعُدْ بِالشَّارِعِ غَيْرُ «عَمْرٍو» وَزَمِيلِهِ الَّذِي مَا زَالَ يُوَاصِلُ غَضَبَهُ، وَيَقُولُ بِصَوْتٍ عَالٍ:

- وَمَاذَا تُرِيدُ الْآنَ؟
- لَا أُرِيدُ شَيْئًا.. فَقَطْ أُذَكِّرُكَ بِالْهَزِيمَةِ.

عَادَ الْغَضَبُ إِلَى وَجْهِ «عَمْرٍو»:

- قُلْتُ لَكَ لَيْسَتْ هَزِيمَةً.

قَالَ زَمِيلُهُ بِإِصْرَارٍ:

- بَلْ هِيَ الْهَزِيمَةُ الْكُبْرَى.

وَمِنْ جَدِيدٍ رَاحَ «عَمْرٌو» يَشْرَحُ كَيْفَ جَاءَ الْهَدَفُ مِنْ تَسَلُّلٍ، وَكَيْفَ أَنَّهُ هَدَفٌ بَاطِلٌ!! وَمِنْ جَدِيدٍ أَيْضًا رَاحَ زَمِيلُهُ يَشْرَحُ كَيْفَ أَنَّ الْهَدَفَ صَحِيحٌ، وَأَنَّ «عَمْرًا» لَا يَفْهَمُ، وَكَادَ يَدِبُّ بَيْنَهُمَا الْعِرَاكُ لَوْلَا تَذَكُّرُ «عَمْرٍو» هَدَفَهُ الَّذِي خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ، لَقَدْ نَسِيَ أَنَّ صَلَاةَ الْجَمَاعَةِ قَدْ بَدَأَتِ الْآنَ.. وَإِنْ فَاتَتْهُ فَتِلْكَ هِيَ الْهَزِيمَةُ الْكُبْرَى.

أَسْـرَعَ «عَمْرٌو» إِلَى الْجَامِـعِ، وَدَخَلَ إِلَى مَـكَانِ الْوُضُوءِ وَغَمَرَ وَجْهَـهُ بِالْمَاءِ، فَاسْـتَرَاحَ قَلْبُـهُ وَهَدَأَتْ نَفْسُـهُ، لَكِنَّ الْحُزْنَ تَسَـلَّلَ إِلَى نَفْسِـهِ عِنْدَمَـا أَدْرَكَ أَنَّهُ قَدْ

ضَاعَتْ عَلَيْهِ رَكْعَتَانِ، وَهَا هُوَ الْآنَ يَنْظُرُ إِلَى الْمُصَلِّينَ، كَانَ الْكُلُّ فِي حَالَةِ سُجُودٍ وَخُشُوعٍ.. نَدِمَ «عَمْرٌو» عَلَى مَا حَدَثَ، وَقَرَّرَ أَلَّا يَتَبَاطَأَ أَبَدًا عَنْ هَدَفٍ صَحِيحٍ يَسْعَى إِلَيْهِ.

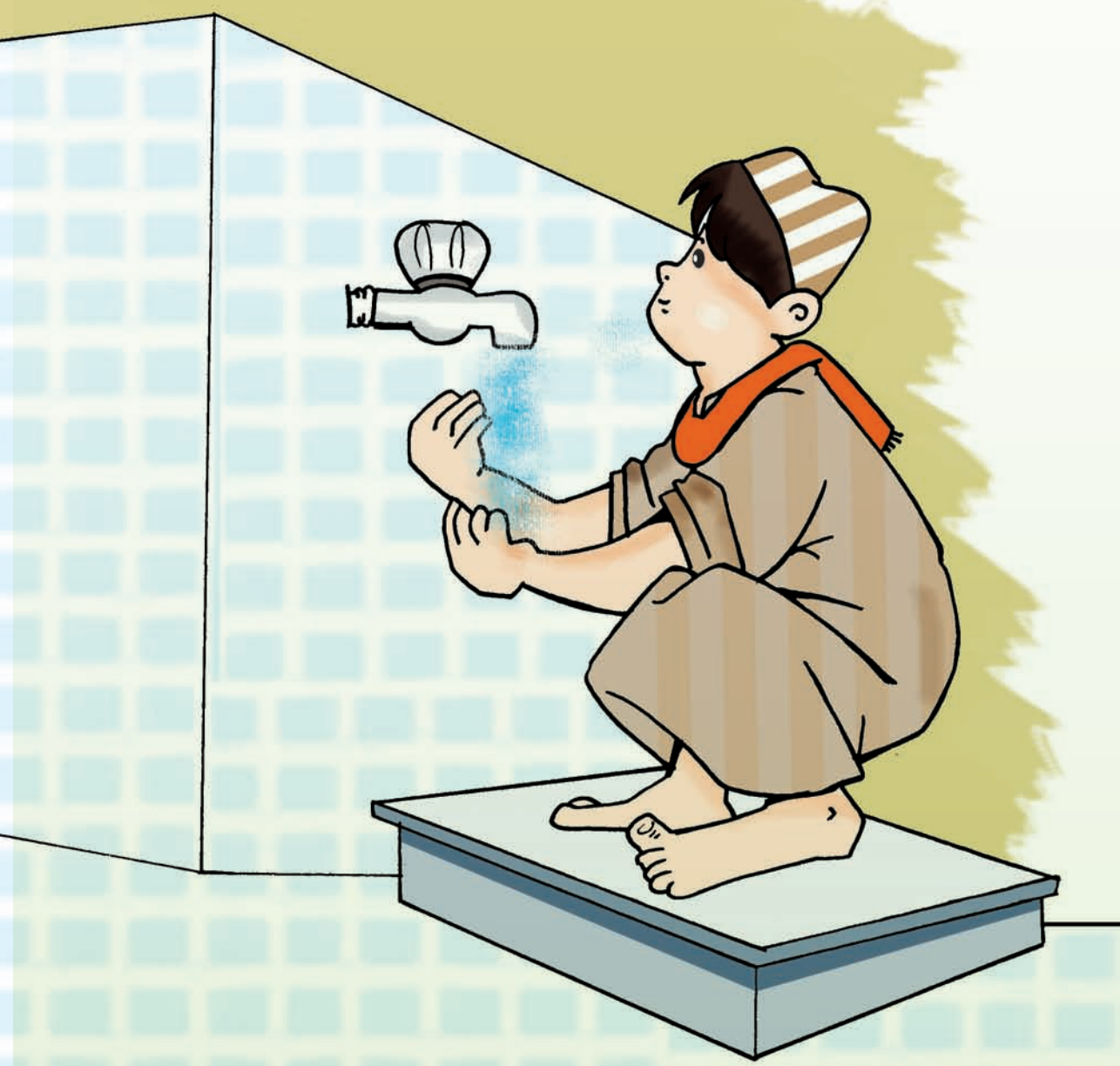

الْوَفَاءُ الْعَظِيمُ

كُنَّا نَلْعَبُ الْكُرَةَ فِي السَّاحَةِ الْوَاسِعَةِ، وَكَانَ هَوَاءُ الْعَصْرِ جَمِيلًا وَهُوَ يَحْمِلُ لَنَا رَائِحَةَ الْيَاسَمِينِ الْمَزْرُوعِ بَعِيدًا.

رَفَعْنَا رُؤُوسَنَا لِأَعْلَى حِينَ مَرَّ سِرْبٌ مِنَ الْبَجَعِ. رَاحَ السِّرْبُ يُحَلِّقُ فَوْقَنَا فَارِدًا أَجْنِحَتَهُ، دَائِرًا فِي الْفَضَاءِ الْجَمِيلِ، ثُمَّ رَأَيْنَاهُ يَقْتَرِبُ مِنْ رُؤُوسِنَا.

تَرَكْنَا الْكُرَةَ وَظَلِلْنَا وَاقِفِينَ نَتَفَرَّجُ عَلَى هَذَا الْمَنْظَرِ الْجَمِيلِ، فَنَحْنُ نَعْرِفُ هَذَا السِّرْبَ الَّذِي اعْتَادَ أَنْ يَأْتِيَ إِلَى قَرْيَتِنَا فِي الصَّيْفِ، وَنَعْرِفُ الشَّجَرَةَ الَّتِي يَهْبِطُ عَلَيْهَا وَيَمْكُثُ بِهَا طَوِيلًا.

اسْتَقَرَّتْ عُيُونُنَا عَلَى الشَّجَرَةِ الَّتِي صَارَتْ جَافَّةً عَارِيَةً، لَا نَدْرِي مَا الَّذِي أَصَابَهَا هِيَ بِالذَّاتِ.

اقْتَرَبَ سِرْبُ الْبَجَعِ مِنْهَا، ثُمَّ طَارَ بَعِيدًا عَنْهَا، رُبَّمَا ظَنَّ أَنَّهُ ضَلَّ الطَّرِيقَ، وَأَنَّ الْحَبِيبَةَ الْخَضْرَاءَ فِي مَكَانٍ آخَرَ.. لَكِنَّهُ عَادَ إِلَيْهَا مَرَّةً ثَانِيَةً، يَبْدُو أَنَّهُ تَأَكَّدَ أَنَّهَا هِيَ، وَخُيِّلَ إِلَيْنَا أَنَّ الشَّجَرَةَ تَتَحَرَّكُ، تُحَاوِلُ أَنْ تَضُمَّ السِّرْبَ بِفُرُوعِهَا الْيَابِسَةِ.. لَكِنَّ الْبَجَعَ تَوَقَّفَ عَنِ التَّحْلِيقِ حَوْلَهَا، ثُمَّ طَارَ نَحْوَ شَجَرَةٍ خَضْرَاءَ.

رُحْنَا نَتَحَدَّثُ عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ، كَمْ كَانَتْ جَمِيلَةً وَرَائِعَةً، كَانَتْ أَكْبَرَ شَجَرَةٍ فِي الْمَكَانِ يَسْكُنُهَا الْبَجَعُ وَالْيَمَامُ وَالْعَصَافِيرُ.. نَسِينَا الْكُرَةَ، وَتَمَنَّى كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا أَنْ يَهْبِطَ الْبَجَعُ فَوْقَهَا، أَوْ تَعُودَ الشَّجَرَةُ خَضْرَاءَ جَمِيلَةً كَمَا كَانَتْ..

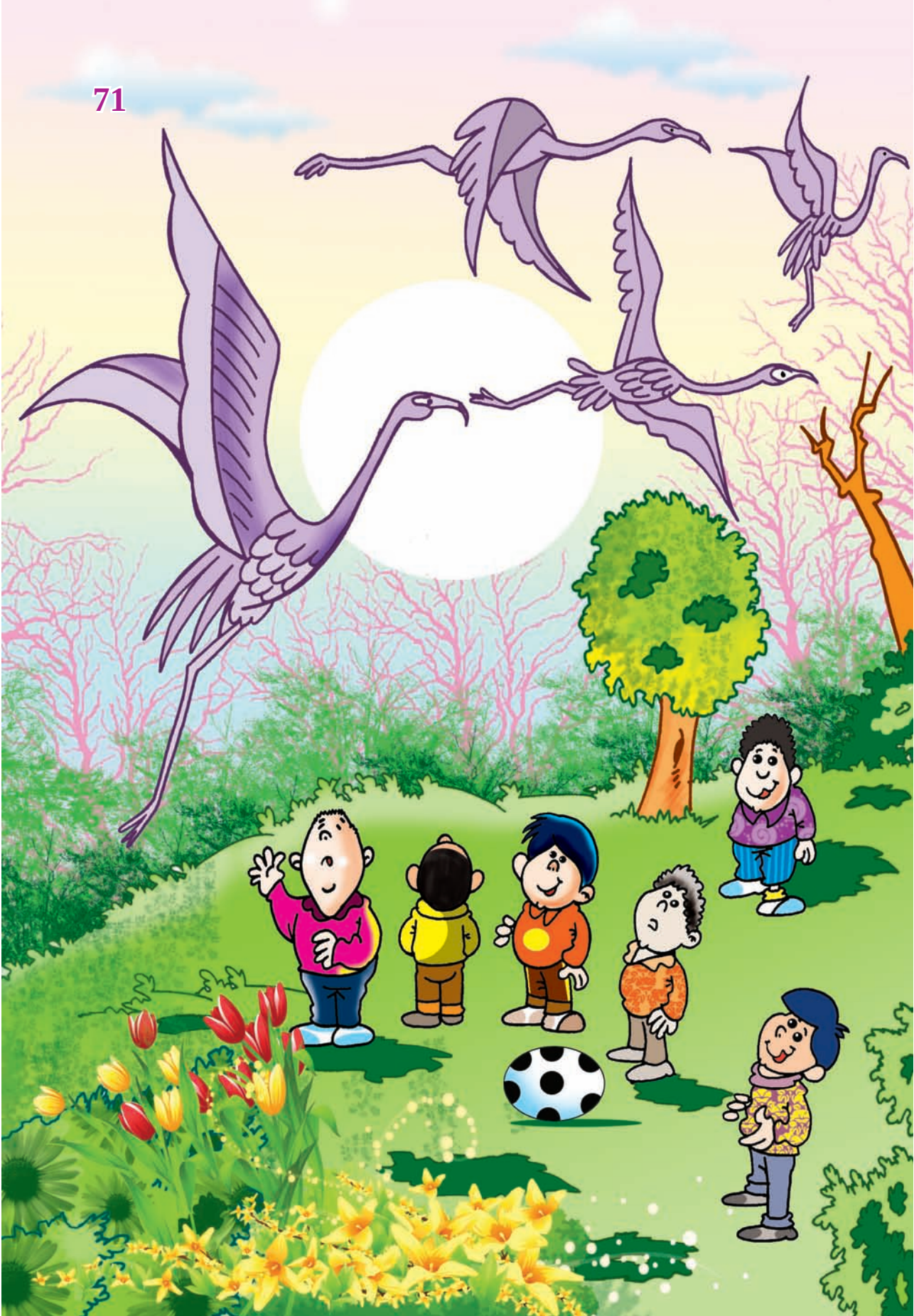

لَحظَاتٌ ثُمَّ رَأَيْنَا السِّرْبَ يُغَادِرُ الشَّجَرَةَ الْخَضْرَاءَ لِكَيْ يَعْلُوَ فِي الْفَضَاءِ، وَنَحْنُ نُرَاقِبُهُ وَهُوَ يَرْتَفِعُ وَيَتَكَاثَرُ.. يَا لَهَذَا الطَّائِرِ الْجَمِيلِ، رَاحَ يَهْبِطُ ثَانِيَةً وَيَهْبِطُ وَقُلُوبُنَا مَعَهُ تُحَلِّقُ، صَارَ يَقْتَرِبُ وَيَقْتَرِبُ، ثُمَّ اسْتَقَرَّ فَوْقَ الشَّجَرَةِ الْجَافَّةِ، هَلَّلْنَا وَفَرِحْنَا بِهِ، يَا لَهُ مِنْ طَائِرٍ وَفِيٍّ أَصِيلٍ.

انْتَظَمَ الْبَجَعُ عَلَى فُرُوعِهَا الْيَابِسَةِ وَغَطَّاهَا، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّ هَذَا الْبَجَعَ مَا هُوَ إِلَّا أَوْرَاقٌ أَنْبَتَتْهَا الشَّجَرَةُ، ثُمَّ رَفْرَفَ الْبَجَعُ بِأَجْنِحَتِهِ حَتَّى خُيِّلَ إِلَيْنَا أَنَّ أَوْرَاقَ الشَّجَرَةِ تَتَحَرَّكُ وَتَسْتَجِيبُ لِهَوَاءِ الْعَصْرِ الْجَمِيلِ! جَلَسْنَا عَلَى الْأَرْضِ وَرُحْنَا نَتَأَمَّلُ ذَلِكَ الْوَفَاءَ الْعَظِيمَ.

بَائِعُ الْكُتُبِ

الْعَمُّ «زَكِيٌّ» يَبِيعُ الْكُتُبَ الْقَدِيمَةَ، يَحْمِلُ الْكُتُبَ فِي كِيسٍ كَبِيرٍ عَلَى ظَهْرِهِ، يَطُوفُ الشَّوَارِعَ وَالْحَوَارِيَ الضَّيِّقَةَ وَيُنَادِي:

- أَخْبَارُ السَّابِقِينَ.. حِكَايَاتُ السِّنْدِبَادِ..

وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ خَرَجَ الْعَمُّ «زَكِيٌّ» لِيَبِيعَ الْكُتُبَ كَعَادَتِهِ، وَانْقَضَى نِصْفُ الْيَوْمِ وَلَمْ يَبِعْ كِتَابًا وَاحِدًا، تَسَاءَلَ الْعَمُّ «زَكِيٌّ»:

- مَا الَّذِي أَصَابَ النَّاسَ.. لِمَاذَا انْصَرَفُوا عَنِ الْقِرَاءَةِ؟! قَدِيمًا كَانُوا يَنْتَظِرُونَنِي.. وَكَانُوا يَطْلُبُونَ كُتُبًا.. أُحْضِرُهَا لَهُمْ مِنْ آخِرِ الدُّنْيَا.. مَا الَّذِي أَصَابَ النَّاسَ؟!

حَزِنَ الْعَمُّ «زَكِيٌّ»، وَرَكَنَ إِلَى الْحَائِطِ؛ كَيْ يَسْتَرِيحَ مِنْ عَنَاءِ السَّيْرِ، فَرَأَى النَّاسَ مُزْدَحِمِينَ حَوْلَ عَرَبَةٍ خَشَبِيَّةٍ، أُنَاسٌ كَثِيرُونَ، عَرَفَ بَعْدَ دَقَائِقَ أَنَّهُمْ مُزْدَحِمُونَ عَلَى بَائِعِ الْبُرْتُقَالِ.

انْكَفَأَ الْعَمُّ «زَكِيٌّ» عَلَى الْكُتُبِ حَزِينًا يُفَكِّرُ فِي زَمَانٍ وَأَيَّامِ زَمَانٍ.. كَانَ أَهَمَّ شَيْءٍ عِنْدَ النَّاسِ أَنْ يَقْرَأُوا وَيَقْرَأُوا.. لِذَا صَنَعُوا الْحَضَارَاتِ وَابْتَكَرُوا أَشْيَاءَ وَأَشْيَاءَ.. لَكِنَّهُمُ الْآنَ يَأْكُلُونَ الْبُرْتُقَالَ.

قَالَ لِنَفْسِهِ: لَا فَائِدَةَ.. سَوْفَ أَتْرُكُ بَيْعَ الْكُتُبِ.. وَأَبِيعُ الْبُرْتُقَالَ.

فَجْأَةً سَمِعَ صَوْتًا رَقِيقًا جَمِيلًا يَقُولُ:

- كَيْفَ حَالُكَ يَا عَمُّ «زَكِيّ»؟

الْتَفَتَ فَوَجَدَ أَمَامَهُ بِنْتًا لَطِيفَةً، ابْتَسَمَ وَرَحَّبَ بِهَا، قَالَتِ الْبِنْتُ اللَّطِيفَةُ وَالْخَجَلُ يَمْلَأُ وَجْهَهَا الْجَمِيلَ:

- لَيْسَ مَعِي نُقُودٌ يَا عَمُّ «زَكِيّ».. أَعْطِنِي قِصَّةً.. وَخُذْ هَذِهِ الْبُرْتُقَالَةَ.

ابْتَسَمَ الْعَمُّ «زَكِيٌّ»، وَسَأَلَ الْبِنْتَ:

- هَلْ تُحِبِّينَ الْقِرَاءَةَ؟

- جِدًّا يَا عَمُّ «زَكِيّ».

- مَا اسْمُكِ؟
- اسْمِي «أَمَلُ».

رَبَّتَ الْعَمُّ «زَكِيٌّ» عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ، وَقَالَ لَهَا:

- خُذِي هَذِهِ الْقِصَّةَ، سَوْفَ تُعْجِبُكِ كَثِيرًا، وَسَوْفَ آخُذُ مِنْكِ الْبُرْتُقَالَةَ لِأَنِّي جَائِعٌ.

أَخَذَتْ «أَمَلُ» الْقِصَّةَ وَجَرَتْ، وَكَانَتْ سَعِيدَةً جِدًّا بِالْقِصَّةِ، وَأَكَلَ الْعَمُّ «زَكِيٌّ» الْبُرْتُقَالَةَ، كَانَ طَعْمُهَا لَذِيذًا.

قَامَ الْعَمُّ «زَكِيٌّ»، وَحَمَلَ الْكِيسَ عَلَى ظَهْرِهِ، وَمَضَى فِي الشَّوَارِعِ وَالْأَزِقَّةِ يُنَادِي:

- أَخْبَارُ السَّابِقِينَ.. وَحِكَايَاتُ السِّنْدِبَادِ.. وَكُتُبُ الْأَوْلَادِ.

كَانَ الْفَرَحُ يَمْلَأُ وَجْهَهُ.

أَنَا وَأَبِي وَالْأَرْضُ

فِي السَّنَةِ الْأَخِيرَةِ مِنَ الْمَرْحَلَةِ الِابْتِدَائِيَّةِ نَجَحْتُ أَنَا بِتَفَوُّقٍ، وَكَانَ خَطُّ «بَارْلِيفَ» قَدْ سَقَطَ.

حِينَ عُدْتُ بِالْبُشْرَى إِلَى الدَّارِ لَمْ أَجِدْ أَبِي، قَالُوا لِي هُنَاكَ، وَلَمْ أَنْتَظِرْ أَنْ أَسْأَلَ: هُنَاكَ أَيْنَ؟ فَقَدْ كُنْتُ أَعْرِفُ.

أَطْلَقْتُ سَاقَيَّ لِلرِّيحِ، وَاجْتَزْتُ مَسَافَاتٍ وَمَسَافَاتٍ، خَلَّفْتُ الْقَرْيَةَ وَرَائِي صِرْتُ أَنَا وَالْمَدَى، لَمْ أَشْعُرْ بِأَيِّ تَعَبٍ، كُلُّ مَا أَرْجُوهُ أَنْ أَصِلَ وَبِسُرْعَةٍ إِلَيْهِ، مَرَرْتُ عَلَى أَشْجَارٍ وَأَشْجَارٍ، وَضَفَادِعَ تَتَقَافَزُ هُنَا وَهُنَاكَ، وَحِمَارٍ يَشُقُّ نَهِيقُهُ الْمَدَى، وَوَلَدٍ يَلْعَبُ مَعَ أَخِيهِ لُعْبَةَ الْأَرْضِ، رَاحَا يَنْظُرَانِ لِي، الْتَفَتُّ إِلَيْهِمَا، ابْتَسَمْتُ لَهُمَا، وَلَا أَعْرِفُ إِنْ كَانَا قَدِ ابْتَسَمَا لِي أَمْ لَا.

قَلْبِي يَدُقُّ بِعُنْفٍ، هَوَاءٌ نَقِيٌّ يَتَسَلَّلُ إِلَى صَدْرِي، وَدُمُوعُ فَرَحٍ تَتَهَادَى، وَكَلَامُهُ لِي مَا زَالَ صَدَاهُ فِي أُذُنِي:

- الْمُذَاكَرَةَ يَا بُنَيَّ.. التَّرْبِيَةُ قَبْلَ التَّعْلِيمِ.. الْعِلْمُ نُورٌ.. أَنَا يَا وَلَدِي وَأَنْتَ.. الْأَرْضُ.. أَبُو قِرْدَانٍ.. وَالْعَالَمُ.. وَالْفَجْرُ..

كَانَ يُوقِظُنِي لِلصَّلَاةِ، فِي الْبَدْءِ أَشْعُرُ أَنَّنِي فِي حَاجَةٍ لِلنَّوْمِ، يَشُدُّنِي النَّوْمُ، وَتَنْغَلِقُ عَيْنَايْ، يُنَبِّهُنِي:

- الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ النَّوْمِ.

أَجْتَازُ مَعَهُ الدُّرُوبَ، كُلُّ شَيْءٍ رَائِعٌ مَعَ الْفَجْرِ، الدُّنْيَا سَاكِنَةٌ آمِنَةٌ، كَأَنَّ اللهَ قَدْ بَسَطَهَا فِي التَّوِّ وَاللَّحْظَةِ. وَصَوْتُ عَنْزَةٍ يَتَهَادَى مِنْ إِحْدَى الدِّيَارِ:

- مَاءْ.. مَاءْ..

وَيَنْسَابُ صَوْتُ الشَّيْخِ عَذْبًا مِنَ الْمَسْجِدِ كَأَنَّهُ يَرُدُّ عَلَى الْعَنْزَةِ بِالْقُرْآنِ:

- ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ (سورة الأنبياء: 30).

أَعُودُ بَعْدَ الصَّلَاةِ، أَفْتَحُ الْكِتَابَ، ضَوْءُ لَمْبَةِ الْكِيرُوسِينِ يُظْهِرُ الْحُرُوفَ وَالدَّوَائِرَ وَالْكَلِمَاتِ، أَقْرَأُ وَأَخُطُّ خُطُوطًا تُذَكِّرُنِي وَخُطُوطًا أُخْرَى تُؤَكِّدُ لِي، وَحِينَ تُشْرِقُ الشَّمْسُ وَتَغْزُو ضَوْءَ لَمْبَةِ الْكِيرُوسِينِ أَكُونُ أَنَا قَدْ تَشَبَّعْتُ.. أَنْطَلِقُ بَعْدَ الْفُطُورِ إِلَى مَدْرَسَتِي.. قَدَمَايْ تَسْبِقَانِي، أَجْرِي مِثْلَمَا أَجْرِي الْآنَ.

وَأَخِيرًا لَمَحْتُهُ، كَمَا أَنْتَ يَا أَبِي، الْفَأْسُ فِي يَدِهِ، جِلْبَابُهُ عَلَى حُدُودِ الْأَرْضِ، تَعْلُو الْفَأْسُ وَتَهْبِطُ، مَا أَرْوَعَ الْمِنْدِيلَ فَوْقَ رَأْسِهِ!

- أَبِي.. أَبِي.

تَهَلَّلَ وَجْهُهُ، كَأَنَّهُ كَانَ يَنْتَظِرُ الْبُشْرَى، صَارَتْ مَلَامِحُهُ وَتَجَاعِيدُ وَجْهِهِ أَرْضًا تَرْتَوِي بِالْمَاءِ، عَلَا صَوْتُهُ:

- تَكُونُ نَجَحْتَ يَا وَلَدُ؟

- نَجَحْتُ يَا أَبِي.. نَجَحْتُ وَسَقَطَ خَطٌّ «بَارْلِيفَ».

ضَحِكَ بِسَعَادَةٍ فَضَحِكْتُ، وَارْتَدَى الْعَالَمُ حُلَّةً جَدِيدَةً جَمِيلَةً، وَصِرْنَا فِي عِنَاقٍ، وَسُمْرَةُ الْأَرْضِ تُوشِكُ أَنْ تَنْطِقَ بِالْخُضْرَةِ.

بَقِيَّةُ الْحِكَايَةِ

قُلْتُ لِـ «أَحْمَدَ»:

- تَعَالَ أَحْكِ لَكَ حِكَايَةً..

ضَحِكَ «أَحْمَدُ» وَعَانَقَنِي، وَجَلَسَ بِجِوَارِي يَنْتَظِرُ الْحِكَايَةَ، تَرَبَّعَ عَلَى الْأَرْضِ هَادِئًا وَلَمَعَتْ عَيْنَاهُ، وَانْتَظَرَ أَنْ أَقُولَ لَهُ: كَانَ يَا مَا كَانَ.

لَكِنَّنِي دَخَلْتُ فِي الْحِكَايَةِ، وَنَسِيتُ مِفْتَاحَ الْبَوَّابَةِ، وَقُلْتُ:

- فِي سَاحَةِ النُّعْمَانِ.. بِجِوَارِ جَامِعِ أَبِي حَنِيفَةَ النُّعْمَانِ.. عِنْدَ شَاطِئِ دِجْلَةَ الْجَمِيلِ.. حَيْثُ يَنْتَشِرُ النَّخِيلُ.. شَاهَدْتُ طِفْلًا بِيَدِهِ كِتَابٌ، وَيَتَأَمَّلُ سُورَ الْجَامِعِ بِاهْتِمَامٍ.. اقْتَرَبْتُ مِنْهُ فَوَجَدْتُهُ يُرَدِّدُ: الْمَلِكُ.. الْقُدُّوسُ.. السَّلَامُ.. الْمُؤْمِنُ.. وَاكْتَشَفْتُ يَا وَلَدِي أَنَّ أَسْمَاءَ اللهِ الْحُسْنَى تَحُوطُ الْجَامِعَ بِكَامِلِهِ، وَأَنَّ الطِّفْلَ يَتَأَمَّلُ كُلَّ اسْمٍ وَيُطِيلُ النَّظَرَ إِلَيْهِ وَيُرَدِّدُهُ.. لَمْ يَنْتَبِهْ لِي.. وَلَمْ أُنَبِّهْهُ.. لَكِنَّنِي ظَلِلْتُ أُتَابِعُهُ، وَهُوَ يَلُفُّ حَوْلَ الْجَامِعِ حَتَّى بَلَغَ الِاسْمَ التَّاسِعَ وَالتِّسْعِينَ، فَرَأَيْتُهُ يَبْتَسِمُ وَيَنْظُرُ لِسَاحَةِ النُّعْمَانِ، ثُمَّ أَخَذَ كِتَابَهُ وَمَضَى.

قَالَ «أَحْمَدُ»:

- ثُمَّ مَاذَا؟

وَأَخَذْتُ أُفَتِّشُ فِي أَعْمَاقِي عَنْ بَقِيَّةِ الْحِكَايَةِ. قُلْتُ لَهُ:

- ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى بَيْتِهِ وَرَاحَ يَقْرَأُ فِي الْكِتَابِ.

قَالَ «أَحْمَدُ»:

- ثُمَّ مَاذَا؟

قُلْتُ:

- جَاءَ مَوْعِدُ النَّوْمِ فَنَامَ.

وَنَظَرْتُ إِلَى «أَحْمَدَ» لَعَلَّهُ يَكُونُ قَدْ أَغْمَضَ عَيْنَيْهِ، لَكِنَّهُ قَالَ:

- ثُمَّ مَاذَا؟

قُلْتُ لَهُ:

- اسْتَيْقَظَ وَذَهَبَ إِلَى الْمَدْرَسَةِ، وَفِي طَرِيقِ ذَهَابِهِ إِلَى الْمَدْرَسَةِ مَرَّ عَلَى جَامِعِ النُّعْمَانِ.

قَالَ «أَحْمَدُ»:

- ثُمَّ مَاذَا؟

قُلْتُ لَهُ:

- رَاحَ يَقْرَأُ أَسْمَاءَ اللهِ الْحُسْنَى.

قَالَ «أَحْمَدُ»:

- وَأَنَا أَحْفَظُهَا يَا أَبِي.

وَرَاحَ «أَحْمَدُ» يُرَدِّدُهَا.. وَحِينَ فَرَغَ مِنْ تَرْدِيدِهَا ابْتَسَمَ، وَقَالَ:

- سَتَحْكِيهَا لِي غَدًا.

وَوَعَدْتُهُ بِذَلِكَ، فَأَغْمَضَ عَيْنَيْهِ وَنَامَ.

بِكِتَابٍ وَاحِدٍ

كَانَ «أَحْمَدُ» لَا يَعْرِفُ أَنَّ هُنَاكَ كُتُبًا غَيْرَ الَّتِي يَقْرَؤُهَا فِي الْمَدْرَسَةِ، كَانَ لَا يَعْرِفُ أَنَّ هُنَاكَ حِكَايَاتٍ جَمِيلَةً وَقِصَصًا مُثِيرَةً تُسْعِدُ قَارِئَهَا وَتُحَلِّقُ بِهِ فِي السَّمَاءِ. صَحِيحٌ أَنَّهُ رَأَى بَعْضَ الْقِصَصِ فِي أَيْدِي أَصْدِقَائِهِ، لَكِنَّ الْخَجَلَ كَانَ يَمْنَعُهُ أَنْ يَطْلُبَهَا لِلْقِرَاءَةِ، فَقَطْ كَانَ يَنْظُرُ لِلرُّسُومِ عَلَى غِلَافِ الْقِصَّةِ وَيَشْعُرُ بِالْحُزْنِ؛ لِأَنَّ أَبَاهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَشْتَرِيَ لَهُ مِثْلَ هَذِهِ الْقِصَصِ.

وَ«أَحْمَدُ» وَلَدٌ طَيِّبُ الْقَلْبِ، وَلَا يَطْلُبُ مِنْ أَبِيهِ شَيْئًا يَصْعُبُ عَلَيْهِ، يَكْفِي أَنَّ أَبَاهُ يَتْعَبُ وَيَشْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْ أَجْلِهِمْ؛ لِذَا كَانَ يَدْعُو لَهُ بِدَوَامِ الصِّحَّةِ، وَكَانَ يَكْتَفِي بِنَظْرَةٍ سَرِيعَةٍ يُلْقِيهَا عَلَى قِصَصِ زُمَلَائِهِ.

وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ دَخَلَ مُدَرِّسُ الرَّسْمِ إِلَى الْفَصْلِ، وَطَلَبَ مِنَ التَّلَامِيذِ أَنْ يَرْسُمُوا لَوْحَةً لِأَحَدِ الْأَبْطَالِ، وَقَالَ إِنَّهُ سَيُعْطِي قِصَّةً جَمِيلَةً كَجَائِزَةٍ لِصَاحِبِ أَحْسَنِ لَوْحَةٍ.

وَرَاحَ الْأَوْلَادُ يَرْسُمُونَ: رَسَمَ أَحَدُهُمْ «مُصْطَفَى كَامِل»، وَرَسَمَ آخَرُ «سَعْدَ زَغْلُول»، وَوَاحِدٌ رَسَمَ «مُحَمَّد فَرِيد»، وَرَسَمَ آخَرُونَ أَبْطَالًا كَثِيرِينَ مِنْ أَبْنَاءِ مِصْرَ الطَّيِّبَةِ.

وَأَمْسَكَ «أَحْمَدُ» بِالْقَلَمِ وَوَجَدَ نَفْسَهُ يَرْسُمُ أَبَاهُ، وَيَجْتَهِدُ فِي وَضْعِ مَلَامِحِهِ عَلَى الْوَرَقَةِ، وَلَمْ يَنْسَ أَنْ يَرْسُمَ التَّجَاعِيدَ الَّتِي تُزَيِّنُ وَجْهَهُ، وَالشُّقُوقَ الْغَائِرَةَ فِي يَدَيْهِ وَقَدَمَيْهِ، ثُمَّ رَسَمَ وَرَاءَهُ شَجَرَةً وَلَوَّنَهَا بِاللَّوْنِ الْأَخْضَرِ، وَفِي مُنْتَصَفِ الشَّجَرَةِ رَسَمَ الشَّمْسَ حَمْرَاءَ وَهِيَ تُحَاوِلُ النَّفَاذَ إِلَى الْأَرْضِ مِنْ خِلَالِ الْفُرُوعِ الْخَضْرَاءِ.

وَأَحَسَّ «أَحْمَدُ» أَنَّ الْأُسْتَاذَ يُرَاقِبُهُ وَيَقْتَرِبُ مِنْهُ، وَرَاحَ يُحَدِّقُ فِي الرَّسْمِ فَوْقَ الْوَرَقَةِ، وَسَأَلَهُ الْأُسْتَاذُ:

- مَاذَا رَسَمْتَ يَا «أَحْمَدُ»؟ مَنْ هَذَا؟

قَالَ «أَحْمَدُ»:

- إِنَّهُ أَبِي.. يَشْقَى وَيَتْعَبُ مِنْ أَجْلِنَا.

وَرَاحَ الْأُسْتَاذُ يَتَأَمَّلُ الرَّجُلَ، وَيَتَأَمَّلُ الشُّقُوقَ وَالتَّجَاعِيدَ، وَفَرِحَ فَرَحًا كَبِيرًا، وَأَمْسَكَ بِاللَّوْحَةِ وَقَالَ لِلتَّلَامِيذِ:

- إِنَّ «أَحْمَدَ» قَدَّمَ لَنَا بَطَلًا جَدِيدًا لَمْ يَكْتُبْ عَنْهُ التَّارِيخُ، وَإِنَّ فَضْلَهُ عَلَيْنَا جَمِيعًا وَلَيْسَ عَلَى «أَحْمَدَ» فَقَطْ.

ثُمَّ أَشَارَ الْأُسْتَاذُ إِلَى قَمِيصِهِ وَقَالَ:

- إِنَّ هَذَا مِنْ قُطْنِهِ الَّذِي يَزْرَعُهُ، إِنَّهُ الشَّجَرُ الَّذِي نَسْتَظِلُّ بِهِ، وَيَرْعَى الْأَبْقَارَ الَّتِي تَأْتِي لَنَا بِاللَّبَنِ وَالْخَيْرِ.

وَطَلَبَ الْأُسْتَاذُ مِنَ التَّلَامِيذِ أَنْ يُصَفِّقُوا لِـ «أَحْمَدَ» إِعْجَابًا وَتَقْدِيرًا.

وَفَرِحَ «أَحْمَدُ» كَثِيرًا، وَقَالَ لِلْأُسْتَاذِ:

- إِنَّ أَبِي أَحَقُّ بِهَذَا التَّصْفِيقِ لِأَنِّي رَسَمْتُهُ، فَقَدْ نِلْتُ تَقْدِيرَكُمْ.

وَتَسَلَّمَ «أَحْمَدُ» هَدِيَّتَهُ مِنَ الْأُسْتَاذِ، وَهِيَ قِصَّةٌ عَنِ الْأَرْضِ، وَفَرِحَ «أَحْمَدُ» كَثِيرًا؛ لِأَنَّهُ سَيَقْرَأُ كِتَابًا جَدِيدًا غَيْرَ الَّذِي يَقْرَؤُهُ فِي الْمَدْرَسَةِ.

وَعِنْدَمَا انْتَهَى الدَّرْسُ تَجَمَّعَ التَّلَامِيذُ حَوْلَ «أَحْمَدَ»، كُلٌّ يُرِيدُ أَنْ يَرَى الْقِصَّةَ الَّتِي أَهْدَاهَا لَهُ الْأُسْتَاذُ؛ فَلَا بُدَّ أَنَّهَا جَمِيلَةٌ، وَلَمْ يَبْخَلْ «أَحْمَدُ» عَلَى زُمَلَائِهِ، تَرَكَهُمْ يَتَفَرَّجُونَ عَلَيْهَا، وَقَالَ لَهُمْ:

ـ لِأَنَّنَا لَا نَسْتَطِيعُ شِرَاءَ كُتُبٍ كَثِيرَةٍ، عَلَيْنَا أَنْ نَتَبَادَلَ الْكُتُبَ بَعْدَ قِرَاءَتِهَا.

وَقَرَأَ «أَحْمَدُ» الْقِصَّةَ جَيِّدًا، وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي تَجَمَّعَ التَّلَامِيذُ حَوْلَ «أَحْمَدَ»، كُلٌّ يُرِيدُ أَنْ يَقْرَأَ الْقِصَّةَ الَّتِي أَهْدَاهَا لَهُ الْأُسْتَاذُ، وَكُلَّمَا أَعْطَى «أَحْمَدُ» الْقِصَّةَ لِأَحَدٍ أَخَذَ مِنْهُ الْكِتَابَ الَّذِي يَمْلِكُهُ لِقِرَاءَتِهِ.

كُلُّ هَذَا، وَلَمْ يُهْمِلْ «أَحْمَدُ» الْكُتُبَ الْمَدْرَسِيَّةَ، وَعِنْدَمَا دَارَتِ الْقِصَّةُ عَلَى جَمِيعِ التَّلَامِيذِ، كَانَ «أَحْمَدُ» قَدْ قَرَأَ كُتُبًا كَثِيرَةً بِكِتَابٍ وَاحِدٍ.

بَيْتُ النَّخْلَةِ

الْخَالَـةُ «وَطَنِيَّةُ» تَحْكِـي لَنَا حِكَايَاتٍ كَثِيرَةً وَجَمِيلَةً، لَكِنَّهَـا لَمْ تَحْكِ لَنَا لِمَاذَا هِـيَ دَائِمَةُ الْجُلُوسِ عَـلَى عَتَبَةِ دَارِهَـا، وَلَا تَجْلِسُ مَثَلًا بِالدَّاخِـلِ؟! نَلْعَبُ الْكُرَةَ وَتَصْطَدِمُ الْكُرَةُ بِرَأْسِهَا! نَجْرِي إِلَيْهَا مُعْتَذِرِينَ، فَتَضْحَكُ فَيَنْبَسِطُ وَجْهُهَا، وَتَظْهَرُ التَّجَاعِيدُ عَلَى وَجْهِهَا كَأَنَّهَا أَنْهَارٌ صَغِيرَةٌ، وَتَبْدَأُ فِي الْحَكْيِ، نُقَاطِعُهَا:

- فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ يَا خَالَةُ لَا نُرِيدُ أَنْ نَسْمَعَ شَيْئًا عَنِ الْجِنِّ وَالْعَفَارِيتِ.. وَلَا الشَّاطِرِ «حَسَـنٍ» وَ«سِـتِّ الْحُسْـنِ وَالْجَمَالِ».. عَنْكِ أَنْتِ يَـا خَالَةُ «وَطَنِيَّـةُ».. لِمَاذَا تَجْلِسِينَ دَوْمًا عَلَى عَتَبَةِ دَارِكِ؟!

قَالَتِ الْخَالَةُ «وَطَنِيَّةُ»:

- لِأَنَّنِي أُحِبُّكُمْ، وَأَوَدُّ أَنْ أَرَاكُمْ دَوْمًا.

وَبَدَأَتِ الْخَالَةُ «وَطَنِيَّةُ» تَحْكِي:

- كَانَ لِي وَلَدٌ فِي مِثْلِ سِنِّكُمْ، وَكَانَ جَمِيلًا وَمُجْتَهِدًا يَرْسُمُ صُوَرًا جَمِيلَةً.. تَعَالَوْا مَعِي.

وَدَخَلْنَـا حُجْـرَةَ الْخَالَـةِ «وَطَنِيَّـةَ».. أَوَّلُ مَـرَّةٍ نَدْخُلُهَـا، أَوَّلُ مَرَّةٍ نَـرَى الْخَالَةَ «وَطَنِيَّةَ» فِي حُجْرَتِهَا.. كُلُّ شَـيْءٍ كَانَ بَسِـيطًا فِيهَا، كُلُّ شَيْءٍ كَانَ جَمِيلًا.. وَرَأَيْنَا صُورَةَ وَلَدٍ جَمِيلٍ، وَصُورَةً أُخْرَى عَلَى الْحَائِطِ لِشَابٍّ جَمِيلٍ.. أَخْبَرَتْنَا أَنَّ الشَّابَّ هُوَ الْوَلَدُ بَعْدَ أَنْ كَبِرَ.. ثُمَّ مَضَتْ تَقُولُ:

- انْظُرُوا لِلصُّوَرِ الَّتِي رَسَمَهَا.. كَانَتْ جَمِيلَةً بَلْ كَانَتْ رَائِعَةً، أَفْضَلُهَا تِلْكَ الَّتِي رَسَمَ فِيهَا وَلَدًا وَقَدْ صَعِدَ فَوْقَ النَّخْلَةِ، وَأَخَذَ يَتَأَمَّلُ الْأَرْضَ الْمُمْتَدَّةَ الْخَضْرَاءَ الْيَانِعَةَ. غَدًا الْعِيدُ.. أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

- بَلَى.. كُلُّ عَامٍ وَأَنْتِ بِخَيْرٍ.

- وَأَنْتُمْ بِخَيْرٍ يَا أَوْلَادِي.

وَأَضَافَتْ:

- كَانَ لَهُ جِلْبَابٌ أَبْيَضُ يَسْتَحِمُّ وَيَرْتَدِيهِ، ثُمَّ يَذْهَبُ لِصَلَاةِ الْعِيدِ وَيَعُودُ.. يُقَبِّلُ يَدِي، ثُمَّ يَذْهَبُ لِكُلِّ بُيُوتِ الْقَرْيَةِ بَيْتًا بَيْتًا يُصَافِحُ النَّاسَ وَيَقُولُ لَهُمْ:

- كُلُّ عَامٍ وَأَنْتُمْ بِخَيْرٍ.

- وَأَيْنَ هُوَ الْآنَ يَا خَالَةُ «وَطَنِيَّةُ»؟

أَشَارَتْ إِلَى صُورَةِ الشَّابِّ عَلَى الْحَائِطِ، وَقَالَتْ:

- لَبِسَ الزِّيَّ الْعَسْكَرِيَّ، وَقَبَّلَ يَدَيَّ. قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ قَالَ، وَهُوَ يَنْظُرُ لِصُورَةِ الْوَلَدِ فَوْقَ النَّخْلَةِ: «سَتَظَلُّ النَّخْلَةُ.. وَلَنْ تَسْقُطَ أَبَدًا»، ثُمَّ رَاحَ.

- أَيْنَ يَا خَالَةُ؟

- قَالُوا إِنَّهُ دَمَّرَ مَوْقِعًا لِلْعَدُوِّ.. وَقَالَ لِي شَيْخُ الْجَامِعِ إِنَّ الشُّهَدَاءَ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ.

وَخَرَجْنَا.. كُنَّا نُفَكِّرُ فِي كَلَامِ الْخَالَةِ «وَطَنِيَّةَ»، وَالدُّمُوعِ الَّتِي تَلَاحَقَتْ عَلَى خَدَّيْهَا ـ دُمُوعِ الْفَرَحِ كَمَا قَالَتْ ـ وَفِي وَلَدِهَا الَّذِي اسْتُشْهِدَ وَهُوَ يُدَمِّرُ مَوْقِعًا لِلْعَدُوِّ.

وَفِي صَبَاحِ الْعِيدِ لَمْ نَلْعَبِ الْكُرَةَ.. ذَهَبْنَا جَمِيعًا لِلْخَالَةِ «وَطَنِيَّةَ».. سَلَّمْنَا عَلَيْهَا وَاحِدًا وَاحِدًا.. وَرَبَّتَتْ عَلَيْنَا وَاحِدًا وَاحِدًا، ثُمَّ تَفَرَّجْنَا عَلَى الْوَلَدِ الَّذِي لَا يَزَالُ فَوْقَ النَّخْلَةِ الْعَالِيَةِ. انْبَسَطَتْ أَسَارِيرُ الْخَالَةِ «وَطَنِيَّةَ»، وَاسْتَأْذَنَّاهَا فِي الْخُرُوجِ، قَالَتْ لَنَا:

- إِلَى أَيْنَ؟
- إِلَى بُيُوتِ الْقَرْيَةِ بَيْتًا بَيْتًا نُصَافِحُ مَنْ فِي الْبُيُوتِ وَنُهَنِّئُهُمْ.

وَمَضَيْنَا.. كُلُّ شَيْءٍ كَانَ صَافِيًا.

سِرُّ فَرْحَةِ «مُصْطَفَى»

الْوَلَـدُ «مُصْطَفَى» يَبْـدُو رَائِعًا الْيَوْمَ، وَجْهُـهُ دَائِمُ الِابْتِسَـامِ، يَجْلِسُ فِي الْفَصْلِ مُتَرَقِّبًا الدَّرْسَ، يَنْظُرُ إِلَى السَّبُّورَةِ فِي انْتِظَارِ بُزُوغِ التَّارِيخِ وَظُهُورِ الْأَحْرُفِ..

صَحِيحٌ أَنَّهَا عَادَةُ «مُصْطَفَى» فِي الْإِقْبَالِ عَلَى الدَّرْسِ بِفَرَحٍ وَسَعَادَةٍ، لَكِنَّهُ الْيَوْمَ أَكْثَرُ فَرَحًا وَسَعَادَةً. ظَنَّ أَصْدِقَاؤُهُ أَنَّ هُنَاكَ خَبَرًا سَعِيدًا فِي عَائِلَتِهِ. وَقَالَ آخَرُ:

- رُبَّمَا حَصَلَ عَلَى مَصْرُوفٍ زَائِدٍ.. أَوْ لُعْبَةٍ جَدِيدَةٍ.

لَكِنَّ الْجَمِيعَ يُؤَكِّدُونَ أَنَّ «مُصْطَفَى» الْيَوْمَ مُخْتَلِفٌ، مُخْتَلِفٌ جِدًّا، وَجْهُهُ مُشْرِقٌ، وَعَيْنَاهُ مُبْتَسِمَتَانِ، وَقَلْبُهُ يَسَعُ الدُّنْيَا وَالْعَالَمَ.

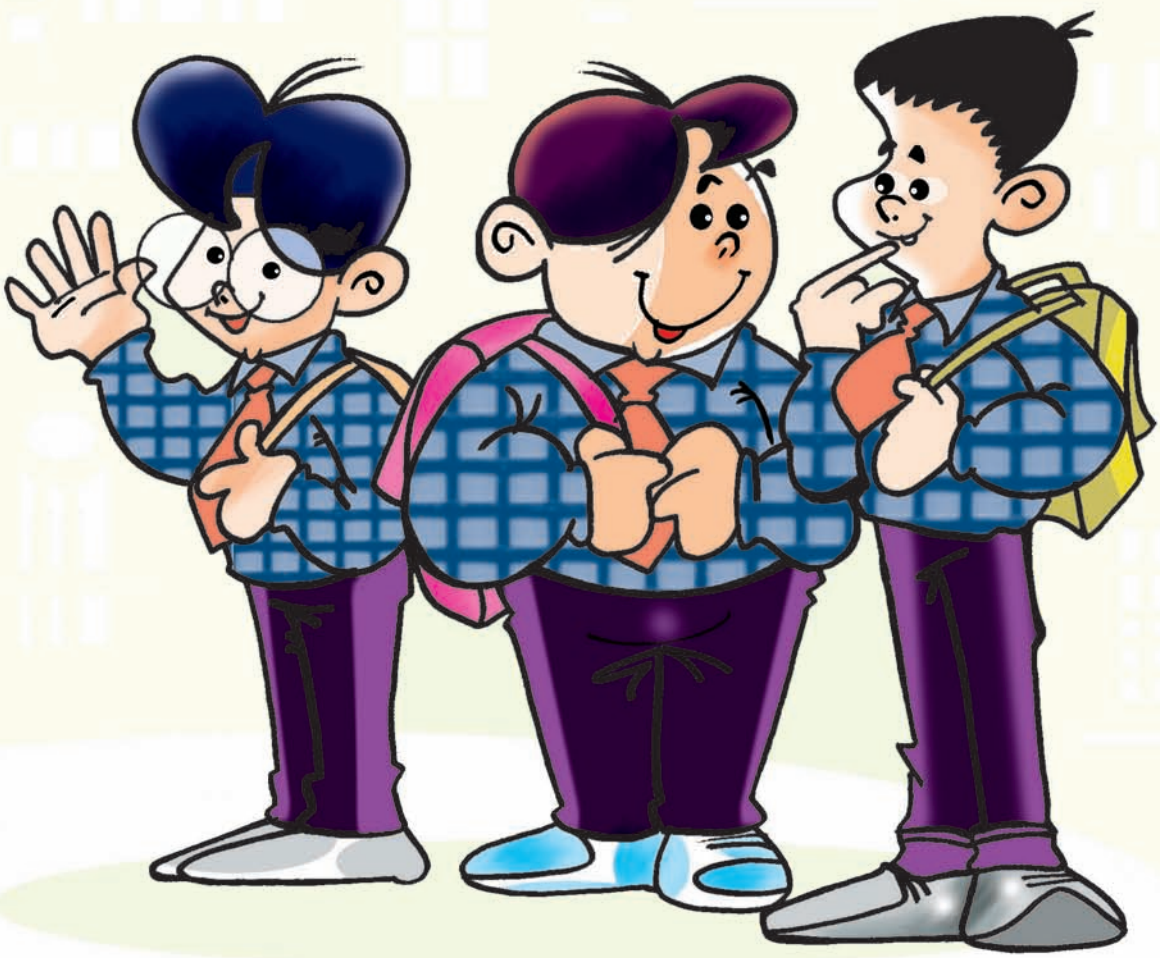

بَعْدَ انْتِهَاءِ الْحِصَّةِ كَانَ السُّـؤَالُ، وَبَعْدَ انْتِهَاءِ السُّؤَالِ كَانَ الْجَوَابُ، وَالْجَوَابُ كَانَ كَلِمَةً وَاحِدَةً قَالَهَا «مُصْطَفَى»: السَّلَامُ.

اعْتَادَ «مُصْطَفَى» وَهُوَ يَسِيرُ فِي الشَّارِعِ أَنْ يُلْقِيَ عَلَى كُلِّ مَنْ يُقَابِلُهُ السَّلَامَ، لَكِنَّ الْكِبَارَ لَا يَرُدُّونَ، يَنْظُرُونَ نَاحِيَةَ الصَّوْتِ، وَالصَّوْتُ صَغِيرٌ وَصَاحِبُهُ صَغِيرٌ، وَكَأَنَّ السَّـلَامَ لَا يَنْفَعُ مِنْ «مُصْطَفَى»، حَتَّى الَّذِينَ أَنْصَفُوهُ كَانُوا يَرُدُّونَ وَهُمْ مُتَرَدِّدُونَ، أَوْ يَمْنَحُونَهُ نِصْفَ سَـلَامٍ، لَكِنَّ الْيَوْمَ كَانَ شَيْئًا آخَرَ، فَأَثْنَاءَ ذَهَابِهِ إِلَى الْمَدْرَسَةِ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ طَيِّبٍ، بَادَرَهُ «مُصْطَفَى»:

- السَّلَامُ عَلَيْكُمْ.

وَلِدَهْشَتِهِ كَانَ الرَّدُّ قَوِيًّا وَجَلِيًّا وَرَائِعًا:

- وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

مَـلَأَ رَدُّ السَّـلَامِ قَلْبَ الْوَلَـدِ «مُصْطَفَى»، فَصَـارَ أَكْثَرَ حُبًّا وَصَفَـاءً، وَعَاوَدَ مِنْ جَدِيدٍ إِلْقَاءَ السَّـلَامِ عَلَى رَجُلٍ آخَرَ، وَكَانَ الرَّدُّ رَائِعًا كَذَلِكَ، وَهَكَذَا طَوَالَ سَـيْرِهِ يُلْقِي «مُصْطَفَى» السَّـلَامَ، وَالدُّنْيَا تَرُدُّ عَلَى سَـلَامِهِ بِأَحْسَـنِ سَـلَامٍ؛ لِذَا فَإِنَّهُ سَعِيدٌ بِحَـقٍّ، مَا أَجْمَلَ أَنْ يَرُدَّ النَّاسُ عَلَى السَّـلَامِ بِسَـلَامٍ، أَمَّا السَّـلَامُ مِـنْ طَرَفٍ وَاحِدٍ فَكَيْفَ يَكُونُ سَلَامًا؟!

هَذَا يَا أَصْدِقَائِي مَا حَدَثَ بِالتَّمَامِ.

وَهُنَا أَدْرَكَ الْجَمِيعُ سِرَّ فَرْحَةِ «مُصْطَفَى»، وَعَقَدُوا الْعَزْمَ عَلَى إِفْشَاءِ السَّلَامِ.

«أَحْمَدُ» وَالصُّنْدُوقُ

«أَحْمَدُ» قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْجَامِعِ، وَهَا هُوَ جَالِسٌ بَيْنَ الْمُصَلِّينَ، يُتَابِعُ الرَّجُلَ ـ حَامِلَ الصُّنْدُوقِ ـ الَّذِي يَمْضِي فِي صَمْتٍ بَعْدَ انْتِهَاءِ الصَّلَاةِ، يَمُرُّ عَلَى صُفُوفِ الْجَالِسِينَ، وَيَنْتَظِرُهُ كُلُّ مَنْ يُرِيدُ التَّبَرُّعَ لِتَوْسِعَةِ الْمَسْجِدِ، فَيَضَعُ نُقُودَهُ فِي فَتْحَةِ الصُّنْدُوقِ.

يَتَأَمَّلُ «أَحْمَدُ» صُنْدُوقَ الْجَامِعِ حِينَ يَمُرُّ عَلَيْهِ، لَوْنُهُ أَخْضَرُ بِلَوْنِ شَجَرَةٍ جَمِيلَةٍ، وَلَهُ فَتْحَةٌ فِي أَعْلَى سَطْحِهِ، وَصَدْرُهُ مُعَطَّرٌ بِآيَةٍ مِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ (سورة التوبة: 103).

يُتَابِعُ «أَحْمَدُ» الرَّجُلَ وَهُوَ سَائِرٌ بِالصُّنْدُوقِ، يَفْرَحُ حِينَ تَمْتَدُّ الْأَيْدِي، وَتَضَعُ نُقُودًا فِيهِ، يَقُولُ فِي نَفْسِهِ:

ـ سَيَشْهَدُ الْجَامِعُ تَوْسِعَةً كَبِيرَةً، وَإِنْشَاءَاتٍ جَدِيدَةً.

تَمْضِي عَيْنَاهُ مَعَ الرَّجُلِ عَبْرَ الصُّفُوفِ.. يَضَعُ أَحَدُهُمْ وَرَقَةً مَالِيَّةً فِي فَتْحَةِ الصُّنْدُوقِ، يَدْفَعُهَا إِلَى الدَّاخِلِ، يَتَبَقَّى مِنْهَا جُزْءٌ بَارِزٌ، يَدْفَعُهُ حَامِلُ الصُّنْدُوقِ بِعَصًا صَغِيرَةٍ وَيَمْضِي.

كَثِيرًا مَا فَكَّرَ «أَحْمَدُ» أَنْ يَدَّخِرَ شَيْئًا لِهَذِهِ اللَّحْظَةِ؛ كَيْ يَمُدَّ يَدَهُ مِثْلَ النَّاسِ، وَيَضَعَ شَيْئًا مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ، لَكِنَّهُ يَنْسَى، كُلُّ مَا لَدَيْهِ مِنْ نُقُودٍ يَأْخُذُهَا بَائِعُ الْحَلْوَى. حَذَّرَتْهُ أُمُّهُ مِنَ الْإِفْرَاطِ فِي تَنَاوُلِ الْحَلْوَى فَقَدِ الْتَهَمَتْ أَسْنَانَهُ، وَهَا هِيَ تَلْتَهِمُ اللَّحْظَةَ الْجَمِيلَةَ أَيْضًا.

كُلَّ أُسْبُوعٍ يَنْوِي أَنْ يَضَعَ شَيْئًا فِي الصُّنْدُوقِ، سَيَكُونُ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يَمُدَّ يَدَهُ مِثْلَ الْكِبَارِ، سَيَقِفُ حَامِلُ الصُّنْدُوقِ أَمَامَهُ لِلَحَظَاتٍ، وَيَمْنَحُهُ اهْتِمَامًا خَاصًّا كَمَا يَفْعَلُ مَعَ الْآخَرِينَ، لَكِنْ عَلَيْهِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي إِخْفَاءِ مَا يُنْفِقُهُ، إِنَّهُ لَا يَرْجُو إِلَّا ثَوَابَ اللهِ، أَمَّا اهْتِمَامُهُ بِاللَّحْظَةِ فَقَطْ لِيَشْعُرَ أَنَّهُ صَارَ كَبِيرًا وَلَا يَصِحُّ أَنْ يَمُرَّ صُنْدُوقُ الْجَامِعِ أَمَامَهُ وَلَا يَهْتَمَّ بِهِ.

عَادَ «أَحْمَدُ» إِلَى الْبَيْتِ وَهُوَ حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَكُونَ جَاهِزًا فِي أَقْرَبِ فُرْصَةٍ، ظَلَّ طَوَالَ الْأُسْبُوعِ يَتَرَقَّبُ تِلْكَ اللَّحْظَةَ، وَهَا هُوَ يَتَّجِهُ إِلَى الْجَامِعِ، يَبْدُو سَعِيدًا فَرْحَانَ، لَقَدْ جَاءَ الْيَوْمُ الَّذِي يَنْتَظِرُهُ، شَعَرَ بِسَعَادَةٍ أَكْبَرَ وَهُوَ يَدْخُلُ الْجَامِعَ.

كَانَ الْجَامِعُ يَمْتَلِئُ عَنْ آخِرِهِ بِالْمُصَلِّينَ، فَرَغَ «أَحْمَدُ» مِنْ صَلَاتِهِ وَجَلَسَ يَتَرَقَّبُ، كَانَتْ عَيْنَاهُ مَشْدُودَتَيْنِ إِلَى مَكَانٍ مَا بِالصَّفِّ الْأَوَّلِ حَيْثُ يَجْلِسُ حَامِلُ

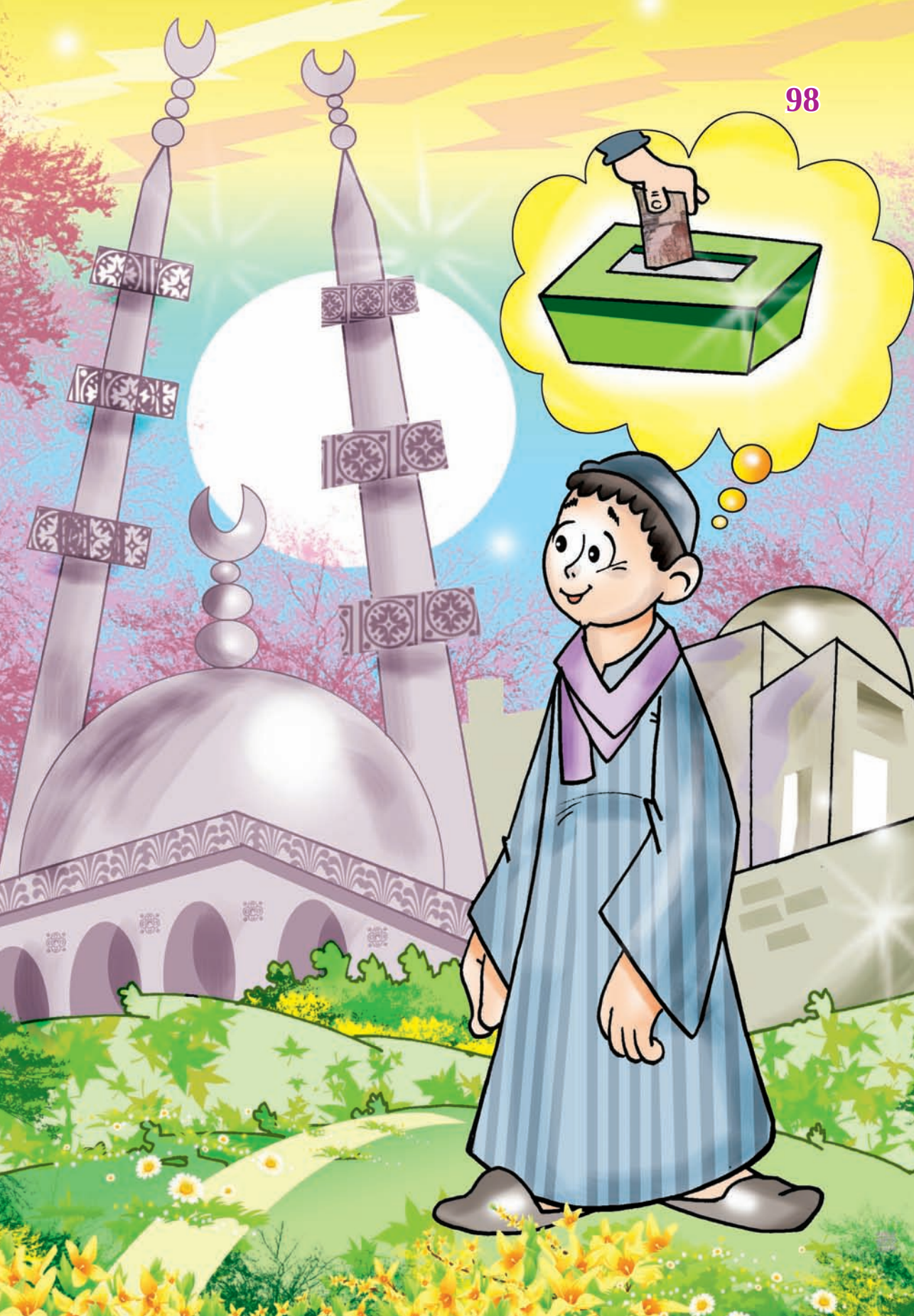

الصُّنْدُوقِ، تَرَقَّبَ قِيَامَهُ، وَمَا هِيَ إِلَّا دَقَائِقُ حَتَّى نَهَضَ الرَّجُلُ حَامِلًا الصُّنْدُوقَ، وَبَدَأَ يَمُرُّ عَلَى الْمُصَلِّينَ صَفًّا صَفًّا.

كَانَ «أَحْمَدُ» يَجْلِسُ فِي الصَّفِّ الرَّابِعِ، مَضَى حَامِلُ الصُّنْدُوقِ حَتَّى أَدْرَكَ الصَّفَّ الرَّابِعَ وَرَاحَ يَمْشِي، خَفَقَ قَلْبُ «أَحْمَدَ» كَثِيرًا وَالرَّجُلُ يَقْتَرِبُ مِنْهُ، وَحِينَ تَأَهَّبَ كَيْ يَمُدَّ يَدَهُ، انْتَقَلَ الرَّجُلُ إِلَى الصَّفِّ الْخَامِسِ فَجْأَةً، وَوَاصَلَ سَيْرَهُ فِيهِ!!

حَزِنَ «أَحْمَدُ» كَثِيرًا، وَخَمَّنَ أَنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَتَوَقَّعْ أَنْ يَمُدَّ يَدَهُ بِنُقُودٍ، وَرُبَّمَا زَادَ يَقِينُهُ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَمَا وَجَدَ بَقِيَّةَ الصَّفِّ فِي مِثْلِ سِنِّهِ، الْتَفَتَ «أَحْمَدُ» يُتَابِعُ الرَّجُلَ، وَلِدَهْشَتِهِ رَأَى مَنْظَرًا جَمِيلًا، رَأَى رَجُلًا يَجْلِسُ فِي الصَّفِّ الْخَامِسِ يُنَبِّهُ حَامِلَ الصُّنْدُوقِ وَيُشِيرُ إِلَى «أَحْمَدَ».. كَانَ قَدْ رَآهُ وَهُوَ يَتَأَهَّبُ لِإِخْرَاجِ النُّقُودِ.

وَعَلَى الْفَوْرِ رَجَعَ حَامِلُ الصُّنْدُوقِ إِلَى «أَحْمَدَ»، اتَّجَهَ إِلَيْهِ خِصِّيصًا، وَحِينَمَا أَدْرَكَهُ تَوَقَّفَ حَتَّى وَضَعَ «أَحْمَدُ» مَا مَعَهُ مِنْ نُقُودٍ، وَانْتَبَهَ لِتِلْكَ الِابْتِسَامَةِ الْمُشَجِّعَةِ عَلَى وَجْهِ حَامِلِ الصُّنْدُوقِ، وَبَعْدَهَا تَابَعَ الرَّجُلُ سَيْرَهُ.

وَامْتَلَأَ «أَحْمَدُ» فَرَحًا، كَمْ شَعَرَ بِسَعَادَةٍ كَبِيرَةٍ، وَعَرَفَ أَنَّ قِيمَتَهُ هُنَا تَكَوَّنَتْ بِالْعَطَاءِ، فَمَا أَجْمَلَ الْعَطَاءَ! فَلْيَحْرِصْ عَلَيْهِ مِنَ الْآنَ، وَلْيَجْعَلْهُ دَوْمًا لِلّٰهِ.

بَعْدَ أَدَاءِ الصَّلَاةِ كَانَ «أَحْمَدُ» فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْبَيْتِ، وَفِي نِيَّتِهِ أَنْ يَحْكِيَ لِأُسْرَتِهِ حِكَايَةَ صُنْدُوقِ الْجَامِعِ الَّتِي جَعَلَتْهُ يُدَقِّقُ فِي مَعَانٍ كَثِيرَةٍ.

«إِيمَانُ» وَالْإِجَازَةُ

الْمُعَلِّمَةُ أَحَبَّتِ الْبِنْتَ «إِيمَانَ»؛ لِأَنَّهَا تُجِيبُ عَنْ كُلِّ سُؤَالٍ، أَعْطَتْهَا فِي كُرَّاسَتِهَا نُجُومًا وَأَقْمَارًا وَدَرَجَاتٍ عَالِيَةً.

تَحْسِبُ «إِيمَانُ» كُلَّ يَوْمٍ الْأَقْمَارَ الَّتِي أَخَذَتْهَا، وَتَحْسِبُ النُّجُومَ الَّتِي أَخَذَتْهَا، وَتَحْسِبُ الدَّرَجَاتِ..

لَاحَظَتْ «إِيمَانُ» أَنَّ الْأَقْمَارَ الَّتِي أَخَذَتْهَا تَبْدُو مُخْتَلِفَةً.. عِنْدَمَا تَأْخُذُ الدَّرَجَةَ النِّهَائِيَّةَ بِالْكَادِ فَإِنَّ الْقَمَرَ يَكُونُ مَحَاقًا، وَعِنْدَمَا تَكُونُ أَفْضَلَ فَإِنَّ الْقَمَرَ يُصْبِحُ هِلَالًا، وَإِنِ اسْتَعْصَتْ مَسْأَلَةٌ عَلَى التَّلَامِيذِ وَأَتَتْ بِهَا «إِيمَانُ» فَإِنَّ الْقَمَرَ يَكُونُ بَدْرًا وَحَوْلَهُ النُّجُومُ تُومِضُ وَتَلْمَعُ..

أَحَبَّتْ «إِيمَانُ» الْمُعَلِّمَةَ، وَأَحَبَّتِ الْمَدْرَسَةَ.

زَمِيلَاتُهَا يَفْرَحْنَ بِالْإِجَازَةِ وَالْعُطْلَةِ الرَّسْمِيَّةِ، لَكِنَّ «إِيمَانَ» تَضِيقُ مِنَ الِابْتِعَادِ عَنِ الْمَدْرَسَةِ، وَيَبْدُو وَجْهُهَا عَابِسًا لَيْسَ فِيهِ نَجْمٌ وَلَا قَمَرٌ.

لَكِنَّهَا عِنْدَمَا تَعُودُ إِلَى دُرُوسِهَا، تَجْتَهِدُ فِي الْقِرَاءَةِ وَالتَّحْصِيلِ، وَتُرَاجِعُ مَا قَرَأَتْهُ مَرَّتَيْنِ وَثَلَاثًا، ثُمَّ تَطْوِي كِتَابَهَا وَتَفْتَحُ كُرَّاسَتَهَا، تَتَفَرَّجُ عَلَى النُّجُومِ وَالْأَقْمَارِ وَالدَّرَجَاتِ الْعَالِيَةِ.. كَمْ تَحْلُمُ بِبَدْرٍ جَدِيدٍ؛ كَيْ تُصْبِحَ شَيْئًا كَبِيرًا تَخْدُمُ أُمَّتَهَا وَوَطَنَهَا.

دَخَلَ اللَّيْلُ عَلَى «إِيمَانَ»، أَلْقَى عَلَيْهَا التَّحِيَّةَ وَجَلَسَ، رَاحَ يَتَفَرَّجُ عَلَى «إِيمَانَ»، وَيَحْلُمُ أَنْ يَكُونَ مِثْلَهَا مُتَعَلِّمًا؛ فَالْجَهْلُ ظَلَامٌ، وَاللَّيْلُ ظَلَامٌ..

دَخَلَتْ «إِيمَانُ» فِي حِصَّةِ الْعُلُومِ، وَفَتَحَ الْكَوْنُ ذِرَاعَيْهِ لَهَا، صَعِدَتْ لِأَعْلَى.. عَرَفَتْ مَاذَا تَعْنِي الْجَاذِبِيَّةُ وَالْأَرْضُ وَالشَّمْسُ، وَتُرِيدُ أَنْ تَصْعَدَ أَكْثَرَ وَأَكْثَرَ كَيْ تُمْسِكَ بِالْقَمَرِ الْجَمِيلِ الَّذِي يَتَبَدَّلُ وَيَتَغَيَّرُ حَسَبَ دَرَجَاتِهَا.. سَتَعْرِفُ «إِيمَانُ» كَثِيرًا عَنِ الْقَمَرِ عِنْدَمَا تُدْرِكُ مُنْتَصَفَ الْكِتَابِ.. كِتَابِ الْعُلُومِ..

أَنْهَتْ «إِيمَانُ» مُذَاكَرَتَهَا، وَرَاحَتْ تُشَاهِدُ مِنْ جَدِيدٍ دَرَجَاتِ الدُّرُوسِ الْمَاضِيَةِ، وَلَمْ يَفُتْهَا أَنْ تُشَاهِدَ الْقَمَرَ الَّذِي تُحِبُّهُ أَيًّا كَانَ.. مَحَاقًا أَوْ هِلَالًا أَوْ بَدْرًا..

فِي الصَّبَاحِ كَانَتْ سَعِيدَةً وَهِيَ تَسْتَعِدُّ لِلذَّهَابِ إِلَى الْمَدْرَسَةِ، مَا إِنْ خَرَجَتْ مِنَ الْبَابِ حَتَّى نَادَتْهَا زَمِيلَتُهَا «إِحْسَانُ»:

- إِلَى أَيْنَ يَا «إِيمَانُ»؟!

قَالَتْ «إِيمَانُ» وَهِيَ تَنْظُرُ إِلَى عُصْفُورَةٍ جَمِيلَةٍ حَطَّتْ عَلَى الْأَرْضِ ثُمَّ طَارَتْ:

- إِلَى الْمَدْرَسَةِ يَا «إِحْسَانُ».. أَلَنْ تَذْهَبِي إِلَى الْمَدْرَسَةِ؟!

قَالَتْ «إِحْسَانُ»:

- لَنْ أَذْهَبَ يَا «إِيمَانُ».. أَتَدْرِينَ لِمَاذَا؟

فَسَأَلَتْهَا «إِيمَانُ» مُتَعَجِّبَةً:

- لِمَاذَا يَا «إِحْسَانُ»؟!

فَأَجَابَتْهَا «إِحْسَانُ» مُبْتَسِمَةً:

- لِأَنَّ الْيَوْمَ هُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ!

قَالَتْ «إِحْسَانُ» ذَلِكَ، ثُمَّ ضَحِكَتْ.

ظَهَرَ الْخَجَلُ عَلَى وَجْهِ «إِيمَانَ» وَهِيَ تَقُولُ:

ـ حُبِّي لِلْمَدْرَسَةِ أَنْسَانِي أَنَّ الْيَوْمَ جُمُعَةٌ.. لَا بَأْسَ.. سَأَعُودُ مَرَّةً أُخْرَى.

وَالْتَفَتَتْ «إِيمَانُ» خَلْفَهَا فَوَجَدَتْ أَبَاهَا وَأُمَّهَا كَانَا يَضْحَكَانِ، هُمَا أَيْضًا يَعْرِفَانِ أَنَّ الْيَوْمَ جُمُعَةٌ.

صَفَّارَةُ الْعَمِّ «مُسْعَدٍ»

كُنَّا نَرَاهُ وَهُوَ خَارِجٌ لِعَمَلِهِ مُرْتَدِيًا زِيَّ جُنْدِيِّ الْمُرُورِ، جَارُنَا «مُسْعَدٌ»، تَبْدُو الطِّيبَةُ عَلَى وَجْهِهِ، لَكِنَّنَا لَمْ نَكُنْ نَقْتَرِبُ مِنْهُ، فَقَطْ نَتَأَمَّلُ زِيَّهُ الرَّسْمِيَّ وَنَفْرَحُ. كَانَ زَمِيلُنَا «وَائِلٌ» يَتَصَوَّرُ أَنَّهُ ضَابِطٌ، لَكِنَّ مُعْظَمَنَا كَانَ يَعْرِفُ شَارَةَ الضَّابِطِ جَيِّدًا..

لِذَا كُنَّا نَسْأَلُ أَنْفُسَنَا: مَتَى يُصْبِحُ ضَابِطًا؟

كَانَ جَارُنَا «مُسْعَدٌ» قَلِيلَ الْكَلَامِ، لَكِنَّهُ يَبْتَسِمُ فِي حُبٍّ وَهُوَ يَرُدُّ السَّلَامَ.. ثُمَّ سُرْعَانَ مَا تَخْتَفِي الْبَسْمَةُ وَيَصْمُتُ وَيُوَاصِلُ سَيْرَهُ، كَثِيرٌ مِنَّا كَانَ يَحْلُمُ أَنْ يُصْبِحَ لَهُ زِيٌّ مِثْلُ الْعَمِّ «مُسْعِدٍ»، وَيَمْشِي بِهِ، وَيُرْهِبُ أَطْفَالَ الشَّوَارِعِ الْأُخْرَى..

ظَلَّتْ عُيُونُنَا تُتَابِعُهُ فِي الذَّهَابِ وَالْعَوْدَةِ، وَنَسْأَلُ أَنْفُسَنَا:

- مَتَى يُصْبِحُ ضَابِطًا.. مَتَى؟

وَذَاتَ يَوْمٍ قُلْنَا: لِمَاذَا نَسْأَلُ أَنْفُسَنَا وَصَاحِبُ الشَّأْنِ أَمَامَنَا؟ لِمَاذَا لَا نَسْأَلُهُ هُوَ، سَوْفَ نَعْرِفُ مِنْهُ الْإِجَابَةَ؟ وَأَخَذْنَا نَتَرَقَّبُ عَوْدَتَهُ، وَمَا إِنْ نَرَهُ قَادِمًا حَتَّى نَلْمَحَ وَجْهَهُ الْمُتْعَبَ عَابِسًا فَنَتَرَاجَعَ، لَكِنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْنَا وَيُلْقِي عَلَيْنَا السَّلَامَ، فَنَرُدُّ السَّلَامَ فِي صَوْتٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَدْخُلُ إِلَى الْبَيْتِ وَنَعُودُ نَحْنُ إِلَى جِلْسَتِنَا نَسْأَلُ:

- مَتَى يُصْبِحُ الْعَمُّ «مُسْعَدٌ» ضَابِطًا.. مَتَى؟!

مَلَلْنَا مِنْ سُؤَالِ أَنْفُسِنَا، وَقُلْنَا لَا سَبِيلَ لَنَا سِوَى أَنْ نَسْأَلَهُ هُوَ..

كُنَّا فِي طَرِيقِنَا إِلَى الْمَدْرَسَةِ ذَاتَ مَرَّةٍ حِينَ رَأَيْنَاهُ خَارِجًا، كَانَتْ بَذْلَتُهُ تَبْدُو رَائِعَةً.. وَطَاقِيَّتُهُ فَوْقَ رَأْسِهِ سَاطِعَةٌ.. وَمَلَامِحُهُ تُوشِكُ أَنْ تَنْطِقَ وَتُرَحِّبَ بِنَا.. بَادَرَهُ أَحَدُنَا:

- السَّلَامُ عَلَيْكُمْ.

ـ وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ.

اقْتَرَبَ «أَيْمَنُ» مِنْهُ وَقَالَ:

ـ مَتَى تُصْبِحُ ضَابِطًا يَا عَمُّ «مُسْعَدٌ»؟

أَفَلَ وَجْهُ الْعَمِّ «مُسْعِدٍ»، وَتَكَوَّمَتْ عَلَى جَبْهَتِهِ الْعَرِيضَةِ بِضْعُ تَجَاعِيدَ، وَقَالَ فِي صَوْتٍ مَكْتُومٍ:

ـ هَلْ هَذَا وَقْتُهُ؟! لَقَدْ حَانَ وَقْتُ الْمَدْرَسَةِ.. سَارِعُوا هَيَّا.

وَأَسْرَعْنَا إِلَى مَدْرَسَتِنَا، فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ شَغَلَنَا غَضَبُهُ الْمُفَاجِئُ، وَتَجَاعِيدُ وَجْهِهِ، وَقُلْنَا لَنْ نَسْأَلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَبَدًا.

لَمْ نَعُدْ بَعْدَ ذَلِكَ نُتَابِعُهُ، وَصَارَ زِيُّ جُنْدِيِّ الْمُرُورِ زِيًّا عَادِيًّا جِدًّا، وَتَرَاجَعَ بَعْضُنَا عَنْ رَغْبَتِهِ فِي ارْتِدَاءِ زِيٍّ مِثْلِهِ حَتَّى كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ، كُنَّا نَتَحَدَّثُ فِي أَمْرٍ مُهِمٍّ حِينَ وَجَدْنَاهُ قَادِمًا مِنْ بَعِيدٍ، لَمْ نُتَابِعْهُ بِنَفْسِ الْقَدْرِ الَّذِي اعْتَدْنَاهُ مِنْ قَبْلُ، وَلَكِنَّنَا انْدَهَشْنَا حِينَ مَرَّ عَلَى بَيْتِهِ وَلَمْ يَدْخُلْهُ وَوَاصَلَ سَيْرَهُ فِي اتِّجَاهِنَا حَتَّى وَصَلَ إِلَيْنَا، وَبَادَرَنَا بِالسَّلَامِ:

ـ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ.

مَلَأَ السَّلَامُ قُلُوبَنَا بِالْفَرَحِ، لَمْ نَعْتَدْ ذَلِكَ مِنْهُ قَطُّ، وَعَلَى الْفَوْرِ قَالَ لَنَا:

ـ لَيْسَ ضَرُورِيًّا أَنْ تُصْبِحَ ضَابِطًا كَيْ تُؤَدِّيَ وَاجِبَكَ.

ثُمَّ سَكَتَ قَلِيلًا وَقَالَ:

ـ أَنَا أُؤَدِّي وَاجِبِي عَلَى أَكْمَلِ وَجْهٍ.. رُؤَسَائِي فِي الْعَمَلِ يَشْهَدُونَ بِذَلِكَ.

سَكَتْنَا قَلِيلًا، وَقُلْتُ لَهُ:

ـ نَحْنُ نَعْرِفُ ذَلِكَ يَا عَمُّ «مُسْعَدٌ».. لَكِنَّهُ مُجَرَّدُ سُؤَالٍ.. سَأَلْنَاهُ لِإِنْسَانٍ نُحِبُّهُ.

قَالَ الْعَمُّ «مُسْعَدٌ»:

- شُكْرًا لَكُمْ يَا أَبْنَائِي.

ثُمَّ أَطْرَقَ فِي حُزْنٍ وَأَسَفٍ وَقَالَ:

- سَوْفَ تَتِمُّ تَرْقِيَتِي حَتَّى أُصْبِحَ مُسَاعِدًا لِلضَّابِطِ.. لَكِنِّي لَنْ أُصْبِحَ ضَابِطًا.

- لِمَاذَا يَا عَمُّ «مُسْعَدٌ»؟

- لِأَنَّنِي لَمْ أُكْمِلْ تَعْلِيمِي.. لَكِنَّنِي أَتَرَقَّبُ أَنْ يُصْبِحَ الضَّابِطُ مِنْكُمْ.. الْمُهِمُّ أَنْ تَجْتَهِدُوا..

وَرَاحَ يَحْكِي لَنَا عَنْ عَمَلِهِ قَائِلًا:

- أَقِفُ عِنْدَ نُقْطَةٍ مُهِمَّةٍ.. اسْمُهَا «الْمَزْلَقَانُ».. وَعِنْدَمَا تَصِلُ إِشَارَةُ الْقِطَارِ.. أُطْلِقُ صَفَّارَتِي لِلسَّيَّارَاتِ.. صَفَّارَةٌ وَاحِدَةٌ مِنِّي تُوقِفُ الْجَمِيعَ.. وَيَمُرُّ الْقِطَارُ فَلَا تَتَحَرَّكُ سَيَّارَةٌ وَاحِدَةٌ حَتَّى أُطْلِقَ صَفَّارَتِي الْأُخْرَى، فَيَتَحَرَّكُ الْجَمِيعُ..

كَانَ يَحْكِي بِفَرَحٍ وَنَحْنُ بِهِ سُعَدَاءُ. وَمِنْ يَوْمِهَا عُدْنَا نَتَرَقَّبُ ذَهَابَهُ وَعَوْدَتَهُ..

الْعَمُّ «مُسْعَدٌ» الْجَارُ الطَّيِّبُ.. كَمْ يَبْدُو رَائِعًا.

ضَرْبَةٌ قَوِيَّةٌ

لَمْ يُصَدِّقْ «أَحْمَدُ» عَيْنَيْهِ حِينَمَا رَأَى أَخَاهُ الصَّغِيرَ «عَلِيًّا» وَهُوَ يَكْبَرُ أَمَامَهُ، ظَلَّ يَزْدَادُ طُولًا حَتَّى صَارَ فِي مِثْلِ طُولِهِ، كَانَ دَائِمًا يَصِيحُ فِي وَجْهِ «عَلِيٍّ» وَيَقُولُ لَهُ:

ـ اسْمَعْ كَلَامِي.. أَنَا أَخُوكَ الْكَبِيرُ.

وَيَرُدُّ عَلَيْهِ «عَلِيٌّ»:

ـ أَسْمَعُ كَلَامَكَ فِي الصَّوَابِ.. أَمَّا فِي الْخَطَإِ فَلَنْ أَسْتَمِعَ إِلَيْكَ.

وَيَدْفَعُهُ «أَحْمَدُ» قَائِلًا:

ـ قُلْتُ لَكَ أَنَا أَخُوكَ الْكَبِيرُ.. أَلَا تَفْهَمُ؟! تَعَالَ بِجِوَارِي.

وَيَقِفُ «أَحْمَدُ» بِجِوَارِ «عَلِيٍّ»، وَيَظْهَرُ «أَحْمَدُ» طَوِيلًا. يَسْكُتُ «عَلِيٌّ» وَيَفْرَحُ «أَحْمَدُ» وَيَصِيحُ:

ـ أَنَا أَخُوكَ الْكَبِيرُ.

وَهَا هُوَ الْآنَ يَرَى «عَلِيًّا» وَهُوَ يَكْبَرُ أَمَامَ عَيْنَيْهِ وَيَزْدَادُ طُولًا، حَتَّى صَارَ فِي مِثْلِ طُولِهِ. قَالَ «أَحْمَدُ»:

ـ هَلْ كَبِرْتَ يَا «عَلِيُّ»؟

قَالَ «عَلِيٌّ»:

ـ نَعَمْ كَبِرْتُ يَا «أَحْمَدُ»، وَسَوْفَ أَعْلُو أَكْثَرَ الْآنَ

وَبِالْفِعْلِ رَاحَ «عَلِيٌّ» يَعْلُو وَيَعْلُو، حَتَّى صَارَ أَطْوَلَ مِنْ «أَحْمَدَ». نَظَرَ «أَحْمَدُ» إِلَى الْأَرْضِ حَزِينًا وَقَالَ:

- كَيْفَ حَدَثَ ذَلِكَ؟

قَالَ «عَلِيٌّ»:

- هَيَّا تَحَرَّكْ وَأَحْضِرْ لِي حَقِيبَتِي الْمَدْرَسِيَّةَ مِنَ الدَّاخِلِ.

قَالَ «أَحْمَدُ»:

- كُلُّ وَاحِدٍ يُحْضِرُ حَقِيبَتَهُ يَا «عَلِيُّ».

قَالَ «عَلِيٌّ»:

- عَلَيْكَ أَنْ تَسْمَعَ كَلَامِي. أَنَا أَخُوكَ الْكَبِيرُ!!

قَالَ «أَحْمَدُ»:

- فِي الصَّوَابِ فَقَطْ وَلَيْسَ فِي الْخَطَإِ.. أَلَمْ تَقُلْ ذَلِكَ ذَاتَ مَرَّةٍ؟!

قَالَ «عَلِيٌّ»:

- كَانَ هَذَا أَيَّامَ زَمَانٍ حِينَ كُنْتَ أَطْوَلَ مِنِّي.. الْآنَ أَنَا الَّذِي أَقُولُ.

حَزِنَ «أَحْمَدُ» كَثِيرًا وَقَالَ بِصَوْتٍ عَالٍ:

- كَيْفَ كَبِرْتَ بِهَذِهِ السُّرْعَةِ.. كَيْفَ؟!

وَضَرَبَ بِقَبْضَتِهِ عَلَى الْحَائِطِ فَأَحَسَّ بِأَلَمٍ شَدِيدٍ، اسْتَيْقَظَ عَلَى الْفَوْرِ فَوَجَدَ يَدَهُ تَنْزِفُ؛ لَقَدِ اصْطَدَمَتْ يَدُهُ فِي مُقَدِّمَةِ السَّرِيرِ.. وَسَمِعَ «عَلِيٌّ» صَرْخَتَهُ، فَجَرَى إِلَيْهِ قَائِلًا:

- مَا بِكَ يَا أَخِي؟

نَظَرَ «أَحْمَدُ» إِلَى «عَلِيٍّ» وَابْتَسَمَ، وَرَبَّتَ عَلَى ظَهْرِهِ وَقَالَ:

- لَا شَيْءَ يَا أَخِي.. لَا شَيْءَ.

لَكِنَّهُ قَرَّرَ مُنْذُ تِلْكَ اللَّحْظَةِ أَنْ يَحْتَرِمَ أَخَاهُ «عَلِيًّا»، وَأَنْ يَحْتَرِمَ السُّلُوكَ الْجَمِيلَ سَوَاءٌ كَانَ صَادِرًا مِنْ كَبِيرٍ أَوْ صَغِيرٍ.

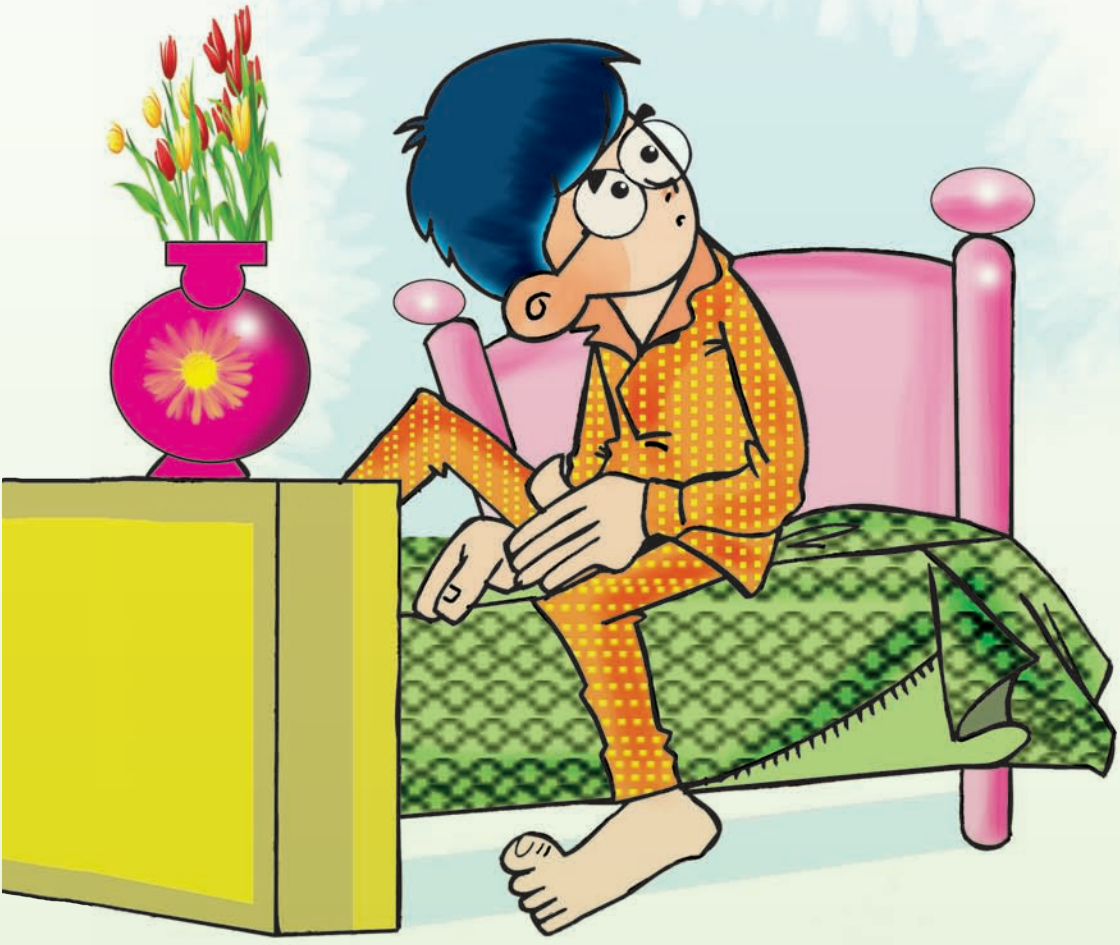

مُسَابَقَةٌ خَاصَّةٌ

كَانَتِ الْمُسَابَقَاتُ فِي الْمِهْرَجَانِ الْمَدْرَسِيِّ مُتَنَوِّعَةً، شَارَكْنَا فِي مُعْظَمِهَا، فَازَ بَعْضُنَا فِي الدَّوْرِي الثَّقَافِيِّ وَآخَرُونَ فِي الْمَوَاهِبِ..

نَحْنُ الْآنَ أَمَامَ الْمُسَابَقَةِ التَّرْفِيهِيَّةِ..{ أَمَامَكَ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْأَطْبَاقِ الْمَلْأَى بِصُنُوفِ الطَّعَامِ.. عَلَيْكَ أَنْ تَلْتَهِمَهَا قَبْلَ غَيْرِكَ}.

كَانَتْ هُنَاكَ أَطْبَاقٌ مَلْأَى بِالْأُرْزِ، وَأُخْرَى بِاللُّحُومِ، وَغَيْرُهَا بِالْحَسَاءِ.

كُنَّا عَشَرَةً حَوْلَ مَائِدَةٍ كَبِيرَةٍ، وَالتَّلَامِيذُ يُشَاهِدُونَ وَيَضْحَكُونَ عَلَى شَرَاهَتِنَا وَنَحْنُ نَلْتَهِمُ مَا أَمَامَنَا مِنْ طَعَامٍ.

بَدَا الْوَلَدُ «زَكِيٌّ» مُنْذُ أَوَّلِ طَلْعَةٍ عِمْلَاقًا، بَدَا كَأَنَّهُ سَيَكْتَسِحُ كُلَّ مَنْ حَوْلَهُ، أَحْكَمَ قَبْضَتَهُ عَلَى طَبَقِ الْأُرْزِ وَالْتَهَمَهُ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْتِهَامِ اللَّحْمِ لَحْظَةٌ، غَيْرَ أَنَّهُ جَمُدَ فَجْأَةً، وَبَدَا كَتِمْثَالٍ فِي مَدْخَلِ مَوْقِعٍ أَثَرِيٍّ!! وَبَعْدَهَا تَرَكَ مَا بِيَدِهِ مِنْ طَعَامٍ.. لَمْ نُعِرْهُ انْتِبَاهًا، وَلَمْ نَسْأَلْهُ عَنِ السَّبَبِ..

ظَنَنْتُ أَنَّ الطَّعَامَ لَمْ يُعْجِبْهُ، وَآخَرُونَ ظَنُّوا أَنَّ طَعَامًا وَقَفَ فِي حَلْقِهِ، وَأُعْلِنَ عَنِ الْفَائِزِ وَلَمْ أَكُنْ مِنْهُمْ، وَلَمْ يَكُنْ «زَكِيًّا» بِالطَّبْعِ..

اقْتَرَبَ الْأُسْتَاذُ مِنْ «زَكِيٍّ» وَسَأَلَهُ:

- لِمَاذَا تَوَقَّفْتَ عَنِ الْتِهَامِ الطَّعَامِ؟!

المسابقة الترفيهية

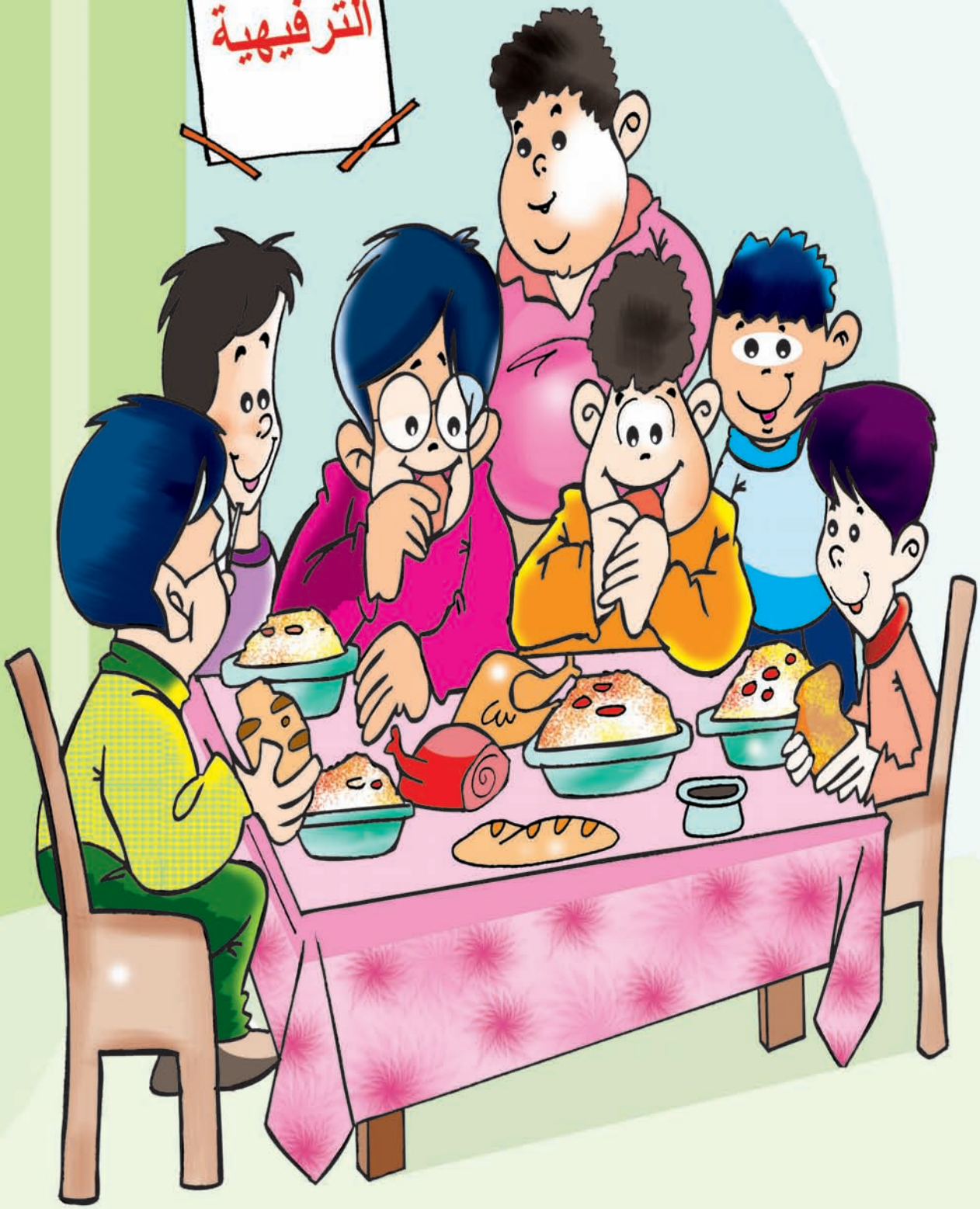

قَالَ «زَكِيٌّ»:

- تَذَكَّرْتُ طِفْلًا نَحِيفًا مَمْصُوصًا يُمْسِكُ وِعَاءً خَشَبِيًّا فَارِغًا وَيَلْعَقُهُ.. فِي نَشْرَةِ الْأَخْبَارِ، فَلَمْ أَرَ ضَرُورَةً لِهَذَا السِّبَاقِ.. أَنْ آكُلَ بِشَرَاهَةٍ وَيَظَلَّ هَذَا الطِّفْلُ مَحْرُومًا.

حَطَّ الصَّمْتُ عَلَى الْجَمِيعِ كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرَ! وَأَعْلَنَ الْأُسْتَاذُ أَنَّ «زَكِيًّا» نَبَّهَنَا لِمَا كُنَّا عَنْهُ غَافِلِينَ..

لَقَدْ أَخْطَأَ مُنَظِّمُو الْمِهْرَجَانِ حِينَ فَكَّرُوا فِي إِقَامَةِ هَذِهِ الْمُسَابَقَةِ الَّتِي لَا تَدْعُو إِلَى قِيمَةٍ قَدْرَ دَعْوَتِهَا لِلضَّحِكِ وَامْتِلَاءِ الْبَطْنِ، وَمَا أَجْمَلَ أَنْ يَلْفِتَنَا «زَكِيٌّ» إِلَى إِخْوَتِهِ الَّذِينَ يُعَانُونَ الْحِرْمَانَ.

أَعْلَنَ الْأُسْتَاذُ عَنِ الْفَائِزِ الْأَوَّلِ فِي الْمُسَابَقَةِ حَتَّى لَا يَحْرِمَهُ حَقَّهُ، ثُمَّ أَعْلَنَ فَوْزَ «زَكِيٍّ» فَوْزًا خَاصًّا وَمُسْتَحَقًّا، وَحَيَّاهُ عَلَى إِحْسَاسِهِ بِإِخْوَتِهِ فِي شَتَّى الْبِقَاعِ.

أَسْئِلَةٌ عَامَّةٌ عَلَى الْكِتَابِ

س1: مَا مِهْنَةُ صَائِدِ الْحِكَايَاتِ؟ وَكَيْفَ كَانَ يَصْطَادُ الْحِكَايَاتِ؟

س2: لِمَاذَا كَانَ النَّاسُ يَبْتَهِجُونَ حِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ فِي الْكِيسِ حِكَايَةً جَدِيدَةً؟

س3: كَيْفَ كَانَتْ تَسْتَقْبِلُ زَوْجَةُ صَائِدِ الْحِكَايَاتِ زَوْجَهَا عِنْدَ عَوْدَتِهِ مِنْ عَمَلِهِ؟ وَعَنْ أَيِّ شَيْءٍ كَانَتْ تَسْأَلُهُ؟

س4: مَا الَّذِي قَرَّرَ الْأَوْلَادُ أَنْ يَفْعَلُوهُ فِي الْعُطْلَةِ الصَّيْفِيَّةِ؟ وَلِمَاذَا اخْتَارُوا الشَّيْخَ «بَاسِمًا» بِعَيْنِهِ؟

س5: مَا النَّصِيحَةُ الَّتِي نَصَحَهَا الشَّيْخُ «بَاسِمٌ» لِـ «أَحْمَدَ» حَتَّى لَا يَنْسَى مَا حَفِظَهُ؟ وَكَيْفَ طَبَّقَهَا «أَحْمَدُ»؟

س6: لِمَاذَا لَمْ تَرُدَّ كُلُّ أَوْرَاقِ الشَّجَرَةِ الْكَبِيرَةِ السَّلَامَ عَلَى الْعُصْفُورَةِ الصَّغِيرَةِ؟

س7: هَلْ هَدَّدَتِ الذُّبَابَةُ الْأَسَدَ؟ وَلِمَاذَا؟ وَكَيْفَ اسْتَقْبَلَ الْأَسَدُ تَهْدِيدَهَا؟

س8: مَاذَا فَعَلَتِ الذُّبَابَةُ بِالْأَسَدِ؟ وَمَا الدَّرْسُ الَّذِي تَعَلَّمَهُ الْأَسَدُ مِنْ هَذَا الْمَوْقِفِ؟

س9: بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ يُهَدِّدُ الْأَبُ وَلَدَهُ الْمُشَاكِسَ «خَالِدًا» حَتَّى يَكُفَّ عَنْ شَغَبِهِ وَمُشَاكَسَتِهِ؟

س10: لِمَاذَا كَانَ «خَالِدٌ» يَخَافُ مِنْ تَهْدِيدِ أَبِيهِ؟ وَكَيْفَ انْتَهَتْ أُسْطُورَةُ هَذَا التَّهْدِيدِ؟

س11: مَا رَأْيُكَ فِي اسْمِ «شَجَرَةَ»؟ وَمَا الدَّلَالَاتُ الَّتِي يَحْمِلُهَا؟ وَهَلْ كَانَ مَوْجُودًا مَعَ بَائِعِ الْأَسْمَاءِ الْمَنْحُوتَةِ؟

س12: كَيْفَ أَهْدَى الطِّفْلُ لِأُمِّهِ اسْمَهَا مَنْحُوتًا مُزَرْكَشًا عَلَى الرَّغْمِ مِنْ عَدَمِ وُجُودِهِ مَعَ بَائِعِ الْأَسْمَاءِ الْمَنْحُوتَةِ؟

س13: لِمَاذَا كَانَ كُلُّ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَعْرِفُونَ الْعَمَّ «طَلْعَتْ» وَيُحِبُّونَهُ وَخُصُوصًا الْأَطْفَالُ؟

س14: مَاذَا فَعَلَ أَبْنَاءُ الْعَمِّ «طَلْعَتْ» بَعْدَ مَوْتِهِ؟ وَهَلْ أَقْبَلَ النَّاسُ عَلَيْهِمْ وَأَحَبُّوهُمْ مِثْلَ أَبِيهِمْ؟ وَلِمَاذَا؟

س15: لِمَاذَا ظَنَّتِ الْإِشَارَةُ الْحَمْرَاءُ أَنَّ النَّاسَ يَكْرَهُونَهَا؟ وَهَلْ كَانَتْ مُحِقَّةً فِي ذَلِكَ؟

س16: كَيْفَ عَرَفَتْ إِشَارَةُ الْمُرُورِ الْحَمْرَاءُ قِيمَتَهَا وَأَهَمِّيَّتَهَا؟ وَمَا الَّذِي قَرَّرَتْهُ بَعْدَ ذَلِكَ؟

س17: مَا أَهَمِّيَّةُ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى بِالنِّسْبَةِ لِلْمُسْلِمِينَ؟ وَمَا مَكَانَتُهُ فِي قُلُوبِهِمْ؟

س18: لِمَاذَا رَسَمَ «مُحَمَّدٌ» حَاجِزًا أَسْوَدَ حَوْلَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى؟ وَكَيْفَ أَقْنَعَهُ أَخُوهُ بِإِزَالَتِهِ؟

س19: لِمَاذَا كَانَ أَهْلُ الْقَرْيَةِ يَذْهَبُونَ إِلَى الْحَكِيمِ؟ وَهَلْ تَحَقَّقَ هَدَفُهُمْ؟ وَلِمَاذَا؟

س20: مَا الْحِكْمَةُ الَّتِي حَصَلَ عَلَيْهَا «عَبْدُ اللهِ»؟ وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَاقِي أَهْلِ قَرْيَتِهِ؟

س21: مَا أَهَمُّ صِفَةٍ يَتَمَيَّزُ بِهَا الثَّعْلَبُ عَنْ بَقِيَّةِ حَيَوَانَاتِ الْغَابَةِ؟

س22: مَاذَا يَفْعَلُ الثَّعْلَبُ إِذَا طَارَدَهُ حَيَوَانٌ أَقْوَى مِنْهُ لِيَفْتَرِسَهُ؟ وَهَلْ يَنْجُو فِعْلًا مِنَ الْمُطَارَدَةِ؟

س23: مَتَى بَدَأَ «أَحْمَدُ» كِتَابَةَ الْقِصَّةِ؟ وَمَنْ صَاحِبُ الْفَضْلِ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ؟

س24: كَيْفَ تَكُونُ الْقِصَّةُ مَوْقِفًا؟ وَكَيْفَ تَكُونُ حُلْمًا؟ وَمَا رَأْيُ «أَحْمَدَ» فِي الْقِصَّةِ بِوَجْهٍ عَامٍّ؟

س25: مَا أَوْجُهُ الشَّبَهِ بَيْنَ الْأَسَدِ مَلِكِ الْغَابَةِ وَبَقِيَّةِ حَيَوَانَاتِ الْغَابَةِ؟ وَبِمَ يَتَمَيَّزُ عَنْهُمُ الْأَسَدُ؟

س26: هَلْ فَهِمْتَ قَصْدَ الزَّرَافَةِ مِنْ مُحَاوَرَتِهَا لِلْأَسَدِ؟ وَهَلْ تَحَقَّقَ هَذَا الْقَصْدُ؟

س27: كَيْفَ اسْتَطَاعَ الدُّكْتُورُ «حُسَامٌ» أَنْ يَجْذِبَ انْتِبَاهَ الْأَطْفَالِ إِلَيْهِ وَإِلَى مُحَاضَرَتِهِ عَنِ الْبِيئَةِ؟

س28: مَاذَا تَعْرِفُ عَنِ الْبِيئَةِ؟ وَمَا الَّذِي يَجِبُ عَلَيْكَ تِجَاهَهَا؟

س29: مَاذَا طَلَبَتِ الشَّجَرَةُ الصَّغِيرَةُ مِنَ الشَّمْسِ؟ وَلِمَاذَا خَجِلَتْ مِنْ نَفْسِهَا بَعْدَ ذَلِكَ؟

س30: لِمَاذَا تُحِبُّ قِطْعَةُ الثَّلْجِ الشَّمْسَ مَعَ أَنَّهَا سَتُحَوِّلُهَا إِلَى قَطَرَاتِ مَاءٍ؟

س31: مَا الصِّفَاتُ الَّتِي كَانَ يَتَمَيَّزُ بِهَا الْعَمُّ «إِسْمَاعِيلُ»؟ وَكَيْفَ أَثَّرَتْ فِي أَهْلِ الْقَرْيَةِ مِنْ حَوْلِهِ؟

س32: مَاذَا طَلَبَ إِمَامُ الْجَامِعِ مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ بَعْدَ رَحِيلِ الْعَمِّ «إِسْمَاعِيلَ»؟ وَلِمَاذَا؟

س33: مَا اللَّافِتَةُ الْعَجِيبَةُ الَّتِي شَدَّتِ انْتِبَاهَ «مُحَمَّدٍ» وَزُمَلَائِهِ؟ وَمَا تَعْلِيقَاتُهُمْ عَلَيْهَا؟

س34: لِمَاذَا عَلَّقَ الرَّجُلُ هَذِهِ اللَّافِتَةَ الْعَجِيبَةَ؟ وَهَلْ تُوَافِقُهُ عَلَى مَا فَعَلَ؟

س35: صِفْ شُعُورَ «عَمْرٍو» عِنْدَمَا يَذْهَبُ لِصَلَاةِ الْجَمَاعَةِ. وَكَيْفَ كَانَ يَرَى الطُّيُورَ مِنْ حَوْلِهِ وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ لِلصَّلَاةِ؟

س36: لِمَاذَا فَاتَتْ «عَمْرًا» رَكْعَتَانِ مِنْ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ؟ وَمَا الَّذِي قَرَّرَهُ حَتَّى لَا يَحْدُثَ ذَلِكَ مَرَّةً ثَانِيَةً؟

س37: لِمَاذَا اقْتَرَبَ سِرْبُ الْبَجَعِ مِنَ الشَّجَرَةِ الْجَافَّةِ ثُمَّ تَرَكَهَا وَذَهَبَ إِلَى شَجَرَةٍ أُخْرَى؟

س38: هَلْ عَادَ سِرْبُ الْبَجَعِ إِلَى الشَّجَرَةِ الْجَافَّةِ؟ وَبِمَاذَا تَصِفُ هَذَا الْمَشْهَدَ؟

س39: مَا الَّذِي جَعَلَ الْعَمَّ «زَكِيًّا» يُقَرِّرُ فِي نَفْسِهِ تَرْكَ بَيْعِ الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ؟ وَهَلْ نَفَّذَ هَذَا الْقَرَارَ؟

س40: مَاذَا قَالَتِ الطِّفْلَةُ الصَّغِيرَةُ لِلْعَمِّ «زَكِيٍّ»؟ وَمَا الثَّمَنُ الَّذِي دَفَعَتْهُ لِشِرَاءِ قِصَّةٍ جَمِيلَةٍ؟

س41: أَيْنَ كَانَ الْوَالِدُ عِنْدَمَا أَرَادَ وَلَدُهُ أَنْ يُخْبِرَهُ خَبَرَ نَجَاحِهِ بِتَفَوُّقٍ فِي الْمَرْحَلَةِ الْإِبْتِدَائِيَّةِ؟

س42: بِمَاذَا كَانَ يَنْصَحُ الْوَالِدُ وَلَدَهُ دَائِمًا؟ وَكَيْفَ كَانَ يُسَاعِدُهُ عَلَى التَّفَوُّقِ فِي دِرَاسَتِهِ؟

س43: لِمَاذَا كَانَ الطِّفْلُ يَتَأَمَّلُ سُورَ الْجَامِعِ وَيُطِيلُ النَّظَرَ إِلَيْهِ؟

س44: هَلْ كَانَ «أَحْمَدُ» يَحْفَظُ أَسْمَاءَ اللهِ الْحُسْنَى كَامِلَةً؟ وَمَاذَا طَلَبَ مِنْ وَالِدِهِ قَبْلَ أَنْ يَنَامَ؟

س45: مَا الْبَطَلُ الَّذِي رَسَمَهُ «أَحْمَدُ» فِي لَوْحَتِهِ وَلَمْ يَتَحَدَّثْ عَنْهُ التَّارِيخُ؟ وَبِمَ كَافَأَهُ أُسْتَاذُهُ؟

س46: كَيْفَ قَرَأَ «أَحْمَدُ» كُتُبًا كَثِيرَةً بِكِتَابٍ وَاحِدٍ فَقَطْ؟ وَعَلَامَ يَدُلُّ ذَلِكَ؟

س47: مَا الصُّورَةُ الَّتِي رَسَمَهَا ابْنُ الْخَالَةِ «وَطَنِيَّةَ»؟ وَعَلَامَ تَدُلُّ هَذِهِ الصُّورَةُ؟

س48: كَيْفَ اسْتُشْهِدَ ابْنُ الْخَالَةِ «وَطَنِيَّةَ»؟ وَمَا جَزَاءُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ رَبِّهِمْ؟

س49: مَا الشَّيْءُ الَّذِي تَعَوَّدَ عَلَيْهِ «مُصْطَفَى» وَهُوَ يَسِيرُ فِي الشَّارِعِ؟ وَمَا رَأْيُكَ فِيهِ؟

س50: مَا سِرُّ فَرْحَةِ «مُصْطَفَى»؟ وَمَا الَّذِي قَرَّرَهُ زُمَلَاؤُهُ بَعْدَ أَنْ عَرَفُوا هَذَا السِّرَّ؟

س51: لِمَاذَا كَانَ يَمُرُّ الرَّجُلُ حَامِلُ الصُّنْدُوقِ بَيْنَ صُفُوفِ الْمُصَلِّينَ بَعْدَ انْتِهَاءِ الصَّلَاةِ؟

س52: مَا الَّذِي قَرَّرَهُ «أَحْمَدُ» حِينَمَا رَأَى الصُّنْدُوقَ يَمُرُّ مِنْ أَمَامِهِ؟ وَهَلْ نَفَّذَ قَرَارَهُ؟

س53: مَا الَّذِي جَعَلَ «إِيمَانَ» تُحِبُّ الْمَدْرَسَةَ وَتَضِيقُ نَفْسُهَا مِنَ الِابْتِعَادِ عَنْهَا؟

س54: لِمَاذَا ظَهَرَ الْخَجَلُ عَلَى وَجْهِ «إِيمَانَ» حِينَ عَرَفَتْ أَنَّ الْيَوْمَ هُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ؟

س55: مَا وَظِيفَةُ الْعَمِّ «مُسْعَدٍ»؟ وَلِمَاذَا لَنْ يُصْبِحَ ضَابِطًا أَبَدًا؟

س56: هَلْ يُشْتَرَطُ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ فِي وَضْعٍ مُعَيَّنٍ كَيْ يُؤَدِّيَ وَاجِبَهُ؟ وَلِمَاذَا؟

س57: «لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ» اشْرَحِ الْجُمْلَةَ السَّابِقَةَ فِي سُطُورٍ قَلِيلَةٍ بِأُسْلُوبِكَ.

س58: مَا الَّذِي قَرَّرَهُ «أَحْمَدُ» بَعْدَ أَنِ اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ؟ وَلِمَاذَا؟ وَهَلْ تُوَافِقُهُ عَلَى ذَلِكَ؟

س59: مَا الْمُسَابَقَةُ التَّرْفِيهِيَّةُ الْخَاصَّةُ بِالْمِهْرَجَانِ الْمَدْرَسِيِّ؟ وَمَا عَدَدُ الْمُتَسَابِقِينَ فِيهَا؟

س60: لِمَاذَا أَعْطَى الأُسْتَاذُ «زَكِيًّا» جَائِزَةً خَاصَّةً عَلَى الرَّغْمِ مِنْ خَسَارَتِهِ فِي الْمُسَابَقَةِ؟